

رسائل الهداية

(١)

مؤلفه السيد محمد باقر المجلسي

في مباحث تخص القرآن

أصدرتها

جمعية الهداية الإسلامية

في

١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م

مطبعة التقيض الأهلية - بغداد

Egyptian Library. 49 - 1934 - 1000 copies.

رسائل المحمدية

(١)

موجز البصائر

في مباحث تختص بالقرآن

أصدرتها

جمعية الزهراء اللاهوتية

في

١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م

مطبعة التفيض الاهلية - بغداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

المستأثر الأستاذ الفاضل صديقنا السيد كمال إبراهيم

عني الأستاذ الشيخ كمال الدين الطائي منذ سنوات
بالمباحث المتعلقة بالقرآن الكريم ، فنصب نفسه لدراسة
ما كتب أعلام الملة ، وشيوخ الشريعة في هذا الغرض ، مما
وصلت إليه يده ، من أقدم العصور الاسلامية الى اليوم .
وكان من نتيجة دراسته الطويلة تلك ، أن أخرج للناس
هذه الفصول الجامعة ، في مختلف ما كتب عن القرآن ، بعد
أن ضم متفرقاتها ، ولم شواردها ، من بطون الكتب
والمصنفات ، فجاءت مجموعة نادرة في البحث عن القرآن
الكريم من وجوه شتى ، أهمها من حيث : نزوله ، ومكيه

ومدنيه ، وجميعه ، وخطه ، وتجويده ، وحروفه ، وقراءاته ،
وتلاوته ، والنسخ والمحكم والمتشابه منه ، وترجمته ، وقصصه ،
وأمثاله ، وفوائح سورته ، والقسم فيه ، واعجازه ، واسلوبه
وفصاحته ، وأثره في تحرير الفكر الانساني ، الى غير ذلك
مما يتصل به ، ويدور في مقاصده عليه . .

وقد نشر طائفة كبيرة من هذه البحوث في أجزاء
مختلفة من « الذكرى المحمدية » التي تصدرها جمعية الهداية
الاسلامية ببغداد ، والتي يتولى هو إصدار وتحرير
صحفها ، فكان لها الأثر النافع في البحث الاسلامي الدقيق ،
وتوجيه القراء الى استزادة العلم بالقرآن ، وتفهم ما يتصل به
من أسرار .

وفي اخراج هذه البحوث المتفرقة ، في رسائل جامعة
مستقلة ، خدمة أخرى جديدة ، يقوم بها صديقنا الاستاذ
الطائي ، فوق خدماته الوفيرة المشكورة في ميادين الكفاح
الاسلامي الأغر . . . وفقه الله واعانه . .

ان خير ما يكتب الكاتب ، ويعرض له العالم العامل ،

في زمننا هذا ، ما كان فيه بعث النفوس الى هدى القرآن ،
وغذاء العقول بمعاني القرآن ، واطمئنان القلوب بنور القرآن .
فان حياة الناس بما غشيها من ظلمات هذا العصر المادي ، في
شروبه وآثامه ، وجوره وأثامته ، وروحه الوثنية الطاغية
على الابصار والبصار ، قد جمحت بهم عن السبيل ، وزاغت
بأبصارهم عن اجتلاء ذلك النور الالهي المشرق على بني
الانسان ، في بينات الهدى والفرقان ، « كتاب أنزلناه اليك
لتخرج الناس من الظلمات الى النور »

أجل ! لقد أجدبت القلوب من فيضه اليوم ، وغاض
منها ذلك المعين الالهي الفياض ، الدافق بالايمان الحي ،
والعزم الصلب ، والارادة الخارقة . . ذلك الذي قال
للأرض : كوني غير ما أنت . . . فكانت غير ما كانت
بالأمس . . .

تلك قوة الهية ! ! أراد الله أن ينعم بها على الانسان . . .
فيكانت في القرآن . . . يتمثل المؤمن معانيه فتكون فيه قوة
من قوة الله ! ! هذه القوة التي لا تقف في وجهها سدود ولا

حدود . . لأنها خلقت لتغزو لا لتقف ، ولتسير في الدنيا
تصلح وتحرر وتشيد . . فإذا وقف المؤمن ، أفلتت من بين
يديه ، لأنها لم تخلق لنادك . . وبهذه القوة القرآنية التي عمرت
القلوب ، بدأت قافلة الايمان تسير من نقطة البدء ، من
« مكة » فلم تقف الا الى آخر الدنيا اذ ذاك ، فلما وقفوا
تركهم وانصرفت . .

هذه معجزة القرآن ! ! فهل هناك معجزة اعظم منها . . ؟
هذه هي المعجزة الدائمة . . آتى الله بها كذلك ، لأنه
ختم بها دينه الى يوم القيامة . . . وجعل رسوله خاتم النبيين
الى يوم القيامة لتكون رسالته حية قائمة في كل عصر . .
ما دامت معجزته حية قائمة في كل عصر . .

فأين هم المؤمنون الحقيقيون خلائف محمد ورسوله من
بعده . . ؟ ما أحوجنا اليوم إلى أن نتفهم أسرار هذه
المعجزة ، ونعلم عنها أكثر ما نستطيع أن نعلم ، فنستمد منها
حياة لقلوبنا ، وهدى لأبصارنا وبصائرنا ، ونرجع الى
مشرق النور نقتبس منه أنوار الهداية والحق ، بعد أن
أضلتنا أهواؤنا ضلالا بعيداً .

ما أحوجنا في هذا العصر ، وقد راجت اسواق الضلالة ،
وتفاقت الشرور والآثام ، وكثرت الشكوك ، وانتشر
الالحاد ، واشتدت غارات دول الغرب على الاسلام ، تكيد
له في السر والعلن ، بما تنشر من وسائل الافساد والتفسيخ
والهدم . . أقول ما أحوجنا في مثل هذه الحال ، الى أن
نتمسك قليلا قليلا ، ونعود الى أنفسنا ، فننظر فيما بين
أيدينا ، ونرجع الى كتاب الله ، نبحث فيه ، ونتملا من
معانيه ، ونستمد روح الايمان منه ، لنبعث فينا الحياة من
جديد ، كما بعثها من قديم .

والقرآن الكريم متسع جوانب البحث ، متعدد مناحي
الدراسة ، لا يكاد يستوعبها مستوعب ، فالواجب على علماء
الدين ، والذادة عن الشرع الحنيف في عصرنا هذا ، ان
يعملوا ما وسعهم الجهد ، في تقريب الناس من القرآن ،
وتبسيط مذاهب القول فيه ، والتماس أيسر السبل في توضيح
آياته وبحث أسرارها ، والدعوة له ، والتمثل بروحه القوي ،
ونشر هذا الروح في شتى الوسائل ، وفي مختلف المعارض ،

ليكون تأثيره في النفوس أسرع ، وعمله فيها أبلغ وأنفع .
ولما كان من المسير على الباحث في علوم القرآن ومباحثه
الأخرى ، أن يلم بها فيما يكتب فينتظمها جميعاً ، كان لزاماً
أن يستقل كل باحث في القرآن الكريم بناحية من نواحيه ،
يشبعها دراسة ومحيصاً ، ويفيها حقها بجمع أشتات مسائلها ،
ومتفرق حقائقها ، فيخرجها للقراء وحدة في الموضوع ،
متماسكة الأجزاء ، مستحكمة الأواصر ، وفي الذي فعل
صديقنا الطائي مثل حسن ، وقدوة صالحة ، لمن يريد
خدمة الدين والبحث من هذا الوجه ... وفق الله الجميع لما فيه
خير الاسلام ، واعلاء كلمة المسلمين .

كمال إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .
اياك نعبد و اياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط
الذين انعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين ...
اللهم صل على سيدنا محمد الذي انزلت عليه القرآن هدى
للناس و بينات من الهدى والفرقان ، وعلى آله واصحابه حملة
الدين و مصاييح الايمان .

اما بعد : فان هذه رسالة موجزة في مباحث القرآن
الكريم اردنا ان نفتح بها سلسلة الرسائل التي عزمت جمعية
الهداية الاسلامية على اصدارها ونشرها تحقيقاً لمبدئها ،
و بلوغاً لهدفها الاسمي في تفهيم حقائق الاسلام ، والدعوة الى
السير على هداها ، واتباع نهجها في نواحي الحياة الاجتماعية
لل فرد و الجماعة و الامة على السواء

لقد اسمينا هذه الرسالة بـ (موجز البيان في مباحث
تختص بالقرآن) و اقتصرنا في فصولها على ما يتعلق بمادة

القرآن من حيث الترتيب والترتيل وشيء من معانيه على ان تتبع هذا الجزء باجزاء اخرى في شرح مقاصد القرآن بوجه عام ، ولم نورد تفصيلا باسماء المصادر التي استقيننا منها تلك الفصول لكثرتها ، وقد اشرنا في بعض المواضع الى الكتب التي مست الحاجة الى التصريح باسمائها دعماً للحجة وتسهيلاً للمراجعة ، هذا عدا كثير من المجلات والصحف الاسلامية التي تناولت بعض هذه المواضيع

هذا ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لاصدار الاجزاء الباقية ويهيء لنا الوقت لخدمة كتابه الكريم ، انه سميع الدعاء

كمال الدين الطائي

١٢ ربيع الاول ١٣٥٩

وصف القرآن الكريم

القرآن : هو كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ ،
المكتوب في المصاحف والمنقول عنه نقلاً متواتراً

القرآن : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم
خبير » ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد » أوحاه الله تعالى الى رسوله وصفيه محمد ﷺ ،
بلسان عربي مبين « ليبشر المتقين وينذر به قوماً لدا » ،
خاطب فيه القلوب بالموعظة ، والعقول بالدليل ، ولفت النظر
إلى ما في الكون من آيات وعبر ، فانطلقت به الأفكار من
قيودها ، وتحركت بعد خمودها وجودها ، فاستبان الحق
ووضح النهج ، وقامت الحججة وانزاحت الشبهة

القرآن : كلمات من نور انبعثت من شمس الجلال
القدسي ، فأنارت الدنيا وكانت غارقة في لجة الظلام ، وبدلت
نظم العالم من همجية وجهل إلى إنسانية كاملة ، وعلم نافع ،
وتفكير وافتكار

القرآن كلمات دونها السحر تأثيراً ، نزلت بجذب القلوب فأحيت موتها ، وبدلت خرابها عمراً ، وخوفها أماناً ، فهطل على تلك القلوب غيث مما فيها ، فاهتزت ونما فيها الثمر الشهي والنور الزاهر ، فأياته تسحر القلوب بحسن أسلوبها وبديع فواصلها ، وتستدعي الاسماع ، وتخلب الأبواب

القرآن : بحر خضم تلاطمت أمواجه بين وعد ووعد ، وترغيب وترهيب ، وتعليم وتهذيب ، وأمثال وحكم ، ونعيم ونعم ، ووقائع الله في الأمم وما أصابها من النكال في تكذيبها للانبيا ، وما حل بالظالمين والمتجبرين من البلاء

القرآن : مملوء بحرية العقل والتفكير المطلق ، وتوسمة نطاق العلم والمعلومات ، ورابطة الأخوة والمساواة ، والشرائع الالهية ، والقوانين الدينية والمدنية ، والعلوم الرياضية والطبيعية ، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها

القرآن : عجز فصحاء العرب عن الاتيان بمثله مع انهم خصوا بالتحدي ، وكان للفصاحة عندهم المقام المعلى ، ودعاهم في آيات منه الى المعارضة ، وناداهم « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا

صادقين » ثم تحداهم بقوله « وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون
الله ان كنتم صادقين » ثم صاح بهم « لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيراً »

فاعترفوا : (ان نظم القرآن على تصرف وجوهه
واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ،
ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به
ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد)^(١)

القرآن : هو الذي جعله الله تعالى (رياً لعطش العلماء ،
وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاج لطريق الصالحاء ، وبرهاناً لمن
تكلم به ، وشاهداً لمن خصم به ، وفليحاً لمن حاج به ، وعاماً
لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى)^(٢) وهو
المرجع حين يجد الخلاف ، والمعجزة الصريحة التي يعترف بها
العقل ، ويصح للمسلمين ان يواجهوا بها العالم غير مترددين
ليحملوا عدده على الايمان به والخشوع لديه

(١) اعجاز القرآن للباقلاني (٢) نهج البلاغة

القرآن الكريم : كما قال ابن المعتز (فضله على سائر الكلام
معروف ، غير مجهول ، وظاهر غير خفي ، يشهد بذلك عجز
المتعاطين ، ووهن المتكافين ، وتحير الكذابين ، وهو المبلغ
الذي لا يمل ، والجديد الذي لا يخلق ، والحق الصادق ،
والنور الساطع ، والمأحي لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافي
للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعي الدنيا
المنقولة ، وبشير الآخرة المخلاة ، ومفتاح الخير ، ودليل
الجنة ، ان اوجز كان كافياً ، وان اكثر كان مذكراً ، وان
اوماً كان مقنعاً ، وان اطال كان مفهوماً ، وان اصر فناصحاً ،
وان حكم فعادلاً ، وان اخبر فصادقاً ، وان بين فشافياً ، سهل
على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ،
سراج تضيء به القلوب ، حلو اذا تذوقته العقول ، بحر
العلوم ، وديوان الحكم ، وجوهر الكلام ، ونزهة المتوسمين ،
وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الروح الأمين ، على محمد خاتم
النبیین ، نخصم الباطل ، وصدع بالحق ، وألف من النفرة ،
وأنقذ من الهلكة ، فوصل الله له النصر ، واضرع به خد الكفر)

القرآن : هو الكتاب الذي أخرج للناس هدى لهم
وتطهيراً لنفوسهم ، وقواعد لقيام مجتمعاتهم ، وصلاح أمور
دنياهم ومعادهم ، وهو القانون الذي يحض الناس على الحضارة
ويذكرهم بحياة ثانية رغيدة ان أحسن التصرف في الأولى ،
ثم ما وعد به الناس من الخير في الأخرى ، وهو يضرب
الأمثال للحاضرين بالغابرين ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
ويشتمل على أنواع من الأعمال كلف بها العباد ، ومشروعات
لتكوين البيوت والأسرة ، وهي ما يتعلق بالنزاع والطلاق
والموارث والانساب ، ومشروعات لطريق المعاملة بين
الناس ، ومشروعات لبيان العقوبات على الجرائم وهي الحدود
والقصاص ، ومشروعات عن التشريع الاجتماعي الذي جعل
الناس عائلة واحدة ، ومشروعات عن التشريع السياسي والحربي
القرآن : كما قال عنه رسول الله ﷺ : كتاب الله فيه
نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل
ليس بالهزل ، من تركه عن خیار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى
في غيره أضله الله ، وهو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم

القرآن الكريم : كما قال ابن المعتز (فضله على سائر الكلام
معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفي ، يشهد بذلك عجز
المتعاطين ، ووهن المتكافين ، وتحير الكذابين ، وهو المبلغ
الذي لا يمل ، والجديد الذي لا يخلق ، والحق الصادع ،
والنور الساطع ، والمأحي لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافي
للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعي الدنيا
المنقولة ، وبشير الآخرة المخلاة ، ومفتاح الخير ، ودليل
الجنة ، ان اوجز كان كافياً ، وان اكثر كان مذكراً ، وان
اوماً كان مقنعاً ، وان اطال كان مفهماً ، وان اصر فناصحاً ،
وان حكم فعادلاً ، وان اخبر فصادقاً ، وان بين فشافياً ، سهل
على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ،
سراج تضيء به القلوب ، حلو اذا تذوقته العقول ، بحر
العلوم ، وديوان الحكم ، وجوهر الكلم ، ونزهة المتوسمين ،
وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الروح الأمين ، على محمد خاتم
النبيين ، نخصم الباطل ، وصدع بالحق ، وألف من النفرة ،
وأنقذ من الهلكة ، فوصل الله له النصر ، واضرع به خد الكفر)

القرآن : هو الكتاب الذي أخرج للناس هدى لهم
وتطهيراً لنفوسهم ، وقواعد لقيام مجتمعاتهم ، وصلاح أمور
دنياهم ومعادهم ، وهو القانون الذي يحض الناس على الحضارة
ويذكرهم بحياة ثانية رغيدة ان أحسن التصرف في الأولى ،
ثم ما وعد به الناس من الخير في الأخرى ، وهو يضرب
الأمثال للحاضرين بالغابرين ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
ويشتمل على أنواع من الأعمال كلف بها العباد ، ومشروعات
لتكوين البيوت والأسرة ، وهي ما يتعلق بالنزاع والطلاق
والموارث والانساب ، ومشروعات لطريق المعاملة بين
الناس ، ومشروعات لبيان العقوبات على الجرائم وهي الحدود
والقصاص ، ومشروعات عن التشريع الاجتماعي الذي جعل
الناس عائلة واحدة ، ومشروعات عن التشريع السياسي والحربي
القرآن : كما قال عنه رسول الله ﷺ : كتاب الله فيه
نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل
ليس بالهزل ، من تركه عن خيار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى
في غيره أضله الله ، وهو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم

وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيف به الأهواء ، ولا تلبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الترداد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : « انا سمعنا قرآناً عجبا يهدي الى الرشاد فآمننا به » ومن قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم .

القرآن هو الذي عبد به الله في كل مكان ، وذل له كل سلطان ، حاربت باسمه الجيوش وثلت به اقوى العروش ، هو الذي يتغير كل شيء وهو محفوظ ، وتدرس كل شريعة وشريعته قائمة الصوى والاعلام ، ولا تزال الايام تمدنا بالحجة على انه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

وقد قال ابن مسعود : اذا اردتم العلم فاثيروا القرآن فان

فيه علم الاولين والآخرين .

الوحي

يطلق الوحي في اللغة على معان : منها الرسالة فيقال :
اوحى اليه وحياً بمعنى ارسل اليه رسالة ، ومنها الالهام
والكلام الخفي فيقال : اوحى اليه بعثه والهمه . ومنها الايماء
فيقال اوحى اليه أي اومى اليه

والوحي شرعاً : معرفة يجدها المرء في نفسه مع اليقين انها
من قبل الله تعالى بواسطة سمع او غيره او بلا واسطة
والوحي يطلق على امور^(١)

(١) ان يلهم الله رساله ما يشاء من احكام وغيرها ، بمعنى
ان يلقنهم اياها على وجه لا يحتمل الخطأ

(٢) الرؤيا في المنام ، فاذا امر الرسول في نومه بأمر
من قبل الله عز وجل او نهى عن أمر او أخبر بخبر ، فانه
يكون وحياً صادقاً لا شك فيه . ومن ذلك ما رآه ابراهيم في
نومه من ذبح ولده اسماعيل ، وما روي من ان نبينا صلوات الله
وسلامه كان اذا رأى رؤيا جاءت كفلق الصبح .. ويعمل الفلاسفة

(١) ملخص عن مجلة الازهر

ذلك بان الروح الانسانية التي تدرك وتدبر الانسان مجردة عن المواد الحيوانية ، فهي أمر معنوي ، ومتعلقة بالانسان تعلقاً معنوياً لتدبره وتتصرف في أموره ، ومن شأن المجرد الاطلاع على الامور الغيبية ، ولكن اشتغال الروح حال اليقظة بتدبير البدن يحول بينها وبين الاطلاع على الغيب ، فاذا نام الانسان وانصرفت عن تدبيره واتصلت بالملأ الأعلى كما هو شأنها : فاذا كانت صافية غير ملوثة بالشهوات الفاسدة كان ادراكها للغيب كاملاً ، وكانت الصور التي تدركها هي بعينها التي ستقع بدون تغيير ما ، كما هو الحال في الانبياء والرسل واتباعهم الصالحين ، اما اذا كانت الروح ملوثة بالشهوات الفاسدة والذات المحرمة ، فان صفاءها يتغير بهذه الشهوات ، ويكون مثلها كمثل المرآة التي يعلوها الصدأ فلا تنطبع فيها الصور على وجه صحيح ، كما هو الحال في غير الانبياء والصالحين . وهذا تعليل حسن معقول ، وقد اقره صاحب الفتوحات المكية في مبحث الرؤيا ، وابان فيها الفرق بين الرؤيا بهذا المعنى ، والرؤيا بمعنى طرد الصور المخزونة في الدماغ ، وهي التي تدرك بالحواس في حال اليقظة واذا نام

الانسان تمثلت له في صورة مختلفة ، فالرؤيا تارة تكون متعلقة بأمر قد وقع قبل النوم وبقيت صورته في الدماغ ، وتارة تكون متعلقة بأمر لم يقع اصلا .

(٣) ان يكلم الله الرسل من وراء حجاب ، كما وقع لموسى صلوات الله عليه ، وقد اتفق علماء التوحيد على ان الله سبحانه منزه عن المكان والجهة ، وعلى انه تعالى منزه عن الكلام اللفظي المشتمل على الحروف والاصوات ، وعلى انه تعالى لا تدركه الابصار . وقد خلق الله تعالى لموسى عليه السلام قوة ادراك كلامه وافهمه اياه بالوسائل التي ارادها (٤) ان يرسل الله تعالى ملكا الى انبيائه ليبلغهم ما يشاء وهذا هو الغالب كما صرحت به الاحاديث الصحيحة .

قال الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد : وقد عرفوه شرعاً — أي الوحي — انه اعلام الله تعالى لنبي من انبيائه بحكم شرعي ونحوه . اما نحن فنعرفه على شرطنا بانه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بانه من قبل الله بواسطة او بغير واسطة . والاول بصوت يتمثل لسمعه او بغير صوت ويفرق بينه وبين الالهام بان الالهام وجدان تستيقنه النفس

وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى ، وهو
اشبه بوجودان الجوع والعطش والحزن والسرور .

الى ان قال : أي استحالة في الوحي ، وان ينكشف
لفلان ما لا ينكشف لغيره من غير فكر ولا ترتيب مقدمات
مع العلم ان ذلك من قبل واهب الفكر ، وما فتح النظر متى
حفت العناية من ميزته هذه النعمة .

مما شهدت به البديهة ان درجات العقول متفاوتة يعلو
بعضها بعضاً ، وان الأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى إلا على
وجه من الاجمال ، وان ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم
فقط بل لا بد معه من التفاوت في الفطر التي لا مدخل فيها
لاختيار الانسان وكسبه ، ولا شبهة في ان من النظريات عند
بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو ارقى منه . ولا تزال
المراتب ترتقي في ذلك الى ما لا يحصره العدد ، وان من ارباب
الهمم وكبار النفوس ما يرى البعيد عن صفاتها قريباً فيسعى
اليه ثم يدركه ، والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون
لنهايته ، ثم يألفون ماصار اليه كأنه من المعروف الذي
لا ينازع ، والظاهر الذي لا يجاحد . فاذا انكره منكر ثاروا

عليه ، ثورتهم في بادئ الامر على من دعاهم اليه ، ولا يزال
هذا الصنف من الناس على قاتله ظاهراً في كل امة الى اليوم .
فاذا سلم (ولا محيص عن التسليم) ما سلفنا من المقدمات
فن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند
الوصول اليها ان لا يسلم بان من النفوس البشرية ما يكون لها
من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به من محض الفيض
الالهي لأن تتصل بالأفق الأعلى ، وتنتهي من الانسانية الى
الذروة العليا ، وتشهد من امر الله شهود العيان ، ما لم يصل
غيرها الى تعقله او تحسسه بعصا الدليل والبرهان ، وتنتقي عن
العليم الحكيم ما يعلو وضوحاً على ما يتلقاه احدنا عن اساتذة
التعاليم ، ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم ما علمت ودعوة
الناس الى ما حملت على ابلاغه اليهم ، وان يكون ذلك سنة الله
في كل امة وفي كل زمان على حسب الحاجة يظهر برحمته من
يختصه بعنايته ليني للاجتماع بما يضطر اليه من مصلحته الى
ان يبلغ النوع الانساني أشده ، فتختم الرسالة ويفلق
باب النبوة .

وقال الشيخ يوسف الدجوي في كتابه تنبيه المؤمنين ما ملخصه :

اما الوحي الذي يجبهه كثير من الناس او لا يكاد يصدق به لعدم تصوره اياه حتى قال لي بعض الكبراء : لو انحلت مشكلة الوحي لزالت عقبات كثيرة تعترضنا في سبيل التصديق بالنبوة فانه لا يمكننا او لا يمكن ابناء هذا العصر الحاضر ان يصدقوا بما لم يفهموا ..

نقول اما الوحي الذي بلغ من العمومية في بعض العقول هذا المبلغ فأمره واضح إلا عند من يقف مع ما ألف ولا يؤمن إلا بما عرف ، فان الوحي عبارة عن القاء الملك في الروح شيئاً من الأشياء ، ومن ذا ينكر الالهام الذي يقع في القلوب المستعدة بغير نظر وفكر في كل الطبقات من افراد هذا النوع حتى الطبقات الدنيا منها فيما هو مستعد له فضلاً عن العليا ، وقد اثبت ذلك المناطقة وسموه حدساً وقالوا ان الحدس ليس فيه ترتيب أمور معلومة ليتوصل بها إلى أمر مجهول كما هو شأن النظريات ولهذا جعلوا الحدسيات من الضرورييات ، ثم نقول من ذا الذي يجعل المعارف الانسانية كلها قصراً على ما ينتجه الفكر والنظر بعد ما اثبت علماء

التنويم المغناطيسي بالأدلة المحسوسة التي يمكن كل انسان أن يشاهدها أن النوم بعد ان يبطل حسه وتتخدر اعصابه تخدراً تاماً فلا يمكنه ان ينظر او يفكر حتى انه لا يسمع أصوات المدافع ولا يتأثر بشيء من الأشياء ، يأتي في هذا الحال بما لا يصل اليه فكر ولا نظر ، وقد اصبح الجدل في ذلك جدالاً في المحسوس فلا حاجة للإطالة فيه والاستدلال عليه بل نقول : من ذا الذي يفكر الرؤيا الصادقة وقد وجدت في كل امة واثبتها علماء كل ملة بعد التجربة والمعاناة ، والمقام لا يحتمل كثرة الاستشهاد ، على ان من لا ينفعه القليل لا يفيد الكثير ، ولا بأس أن نقول للمؤمنين بالقرآن ان سورة يوسف فيها من الرؤيا الصادقة : (رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك) وان شئت فقل رؤيا صاحبي السجن ، وعاماء الأرواح الآن يثبتون ما هو اكثر من هذا .

أما الملك الذي ينزل بالوحي ويكلم الأرواح فلا معنى لانكاره والحكم بعدم وجوده فان الحججة في ذلك الانكار انما هو كون العلم لا يثبته — كما يقولون — وهل كل ما لم

يصل اليه العلم غير موجود (اللهم ان العلم نفسه يكذب ذلك)
فقد كنا نجهد الميكروبات منذ زمان قريب ، أفكان جهلنا بها
موجباً لعدم وجودها ! أم كانت موجودة في الواقع على
الرغم من هذا الجهل ، وأي معنى للبحث والتنقيب الذي
يتقدم به العلم يوماً فيوماً اذا كان الأمر على ما ظنوا
ومن ذلك الجاهل الذي يزعم انه أحاط بكل العوالم
وعرف ما في الوجود

ألم يقرر العلماء والفلاسفة ان عدم الدليل ليس دليلاً على
عدم الدليل ، على ان علماء الاسبرتزم (استحضار الارواح)
الذين اشتغلوا بالمسائل الروحية أثبتوا بالمشاهدات المتكررة
والحوادث المتواترة ان هناك عالماً وراء عالم الطبيعة قد خرق
لهم كل نواميس المادة وما قرروه من ذلك ، وقد اصبح ذلك
عندهم لمس اليد ورأي العين . فاذا كان ذلك معقولاً بل
محسوساً في غير الانبياء فما بالك بالانبياء وهم المثل الأعلى لذلك
النوع

هذا وقد ذكر علماءنا للوحي كيفيات كثيرة ولكن

تقتصر منها على كفتين ذكرهما الحديث الصحيح الذي رواه
الامام البخاري وهما في غاية الوضوح لكل من يريد الحق لا
التعصب والعماد . أحدهما ان يرتفع النبي (ﷺ) عن
المستوى البشري الى المستوى الملكي (وروحه الشريفة
مستعدة لذلك تمام الاستعداد فان علاقتها بالملك الاعلى أكثر
وأتم من علاقتها بعالم المحسوسات) . والروح في اصل خلقها
مناسبة لخلق الملك وربما كانت ارفع منه قدراً واعظم منه
سراً ، والملك إذ ذاك يكون على حالته الملكية ولكن يصح
ان يراه الرسول وهو على هذا الحال لانه انما ينظر اليه ببصر
الروح عند تجرده عن الغواشي البدنية ومفارقة للعوالم
المادية ، واما جلساؤه فلا يرونه لأنهم لم يتجردوا من ملابسهم
الطبيعية ومحيطاتهم الكونية ، ويقرب هذا بعض التقريب ما
نشاهده من احوال المنوم تنويعاً مغناطيسياً فانه يرى ما لا
يراه الحاضرون لان اللسان فيه للروح فهو يرى بجواسها لا
بجواس البدن ، واما حاضروه فالمستولي عليهم هو سلطان
الجسم لا سلطان الروح . وتقربه من وجه آخر فنقول :

لا بدع في تغير الاحكام بتغير الاطوار والاحوال حتى نصل الى حد التباين ، فان الثلج اذا كان جامداً كان له حكم الجامدات ، فاذا اذبناه بقليل من الحرارة كان له حكم السوائل ، فاذا صيرناه غازاً كان له حكم الغازات ، واذا فما الذي يستنكر من تغير الاحكام بتغير الاحوال . ويكفي هذا لمن أنصف ولم يتعسف .

أما الكيفية الثانية للوحي فهي ان يتنزل الملك من سماء الملكية الى ارض البشرية فيتمثل رجلاً فيكلم النبي بلسان الاشباح لا بلسان الارواح ، وفي هذا الحال يراه كل من حضر ويكون النبي على حالته العادية وصفاته البشرية (كما في حديث الاسلام والايمان والاحسان)^(١)

وقد اعطي الملك القدرة على هذا التمثل ، ولا معنى لان تنكر ذلك قياساً على ما تعلمه من نفسك ، فانك لا تعرف الا

(١) محصل ذلك الحديث ان سيدنا جبريل جاء في صورة اعرابي يجلس أمام النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الاسلام والايمان والاحسان وعن الساعة وأمارتها فجابته عن كل ذلك .

احكام عالمك ، ومن الغلط البين او الجهل الشائن ان تحكم
باحكام عالم على عالم آخر

وقال الاستاذ محمد فريد وجدي في بحثه عن السيرة
المحمدية ماملخصه :

النبوة مرتبة روحية يستأهل بها صاحبها ان يتلقى العلم
عن الله بدون وساطة العقل والحواس على ضروب شتى ، إما
القاء في الروع ، او بتوسط ملك يتمثل في صورة بشرية ،
او في اثناء النوم على حالة رؤيا ، او غير ذلك من الحالات
الروحية التي لا يدركها غير نبي ، ويسمى هذا الاسلوب
التعليمي المخالف للسنن العادية وحيًا .

هذه النبوة قد تكون قاصرة على صاحبها ويسمى نبياً
وقد تكون مقترنة بتكليف تقويم أود جماعة من الناس ،
فيسمى هذا التكليف رسالة ، ويدعى صاحبها رسولا ، وقد
سجل تاريخ البشر اسماء عدد كبير من الانبياء ، ومثله من
المرسلين في جميع ادوار الانسانية .

وقد اجمع هؤلاء الانبياء والمرسلون على انهم يتلقون

معارفهم من طريق الوحي ، وأنهم إنما يدلون الى الناس بما
أمرُوا ان يدلوا به اليهم ، واوصوا بالثبات عليه ،
والاستمرار فيه وان غضب الناس منهم ، وتألبوا على
اضطهادهم . وقد أودى وقتل منهم عدد كبير ، وبلوا قبل
قتلهم بجميع ضروب المثبطات ، فلم يزدادوا إلا اقداماً ومضياً .

الادلة المنطقية على صحة النبوة وامكان الوحي كثيرة ،
ولكن العقلية المصرية يصعب عليها ان تقتنع بها ، فان
الفلسفة المادية قد اثارت شبهات حجة على النبوات ، وتفت
وجود العالم الروحاني ، وقد تسربت هذه الفلسفة الى عقول
الناس من مصادر عدة ، لذلك وجب على من يعالج مسألة
النبوة والوحي ان يعدل عن الاستناد على الادلة المنطقية الى
الادلة العلمية . ونحن قد انتدبنا نخوض غمار هذه المسألة ،
نرى ان نتوجه الى تحقيقها من ثلاث نواح :

١- هل في الوجود المحسوس ما يدل على حدوث معرفة
لبعض الكائنات نفساً في الروع من غير طريق الحواس
ومستقلة عن المحاولات العقلية ؟

٢- هل توجد حوادث انسانية يقرها العلم نفسه تثبت وجود اتصال باطني بين النفس وبين عالم ارقى منها ؟

٣- هل يمكن ان يعترف العلم بوجود عالم روحاني فوق عالم المادة يسوغ اعتبار النبوة والوحي امراً ممكناً ؟.

فالجواب عن السؤال الاول هو الهام الحيوانات والعنصرية. فاما الهام الحيوانات ، فقد شهد المتأملون في حياة الحيوانات من لدن اقدم عهود العلم ان للحيوانات ، وخاصة الحشرة الساذجة منها ، اعمالاً في تطلب اغذيتها ، وبناء اكنيتها ، واحتضان بويضاتها ، وتربية صغارها ، تقصر ادراكها القاصرة عن الاهتداء اليها لو تركت وشأنها . وانا عارضون على قرائنا بعضاً منها :

الفراش متى وصل الى الطور الثالث من حياته يضع بيضه على هيئة دوائر على الاوراق الخضراء ، وهذا البيض لا ينفقس إلا في الفصل التالي ، فيخرج مافيه على هيئة ديدان صغيرة في الوقت الذي تكون فيه امهاتها قد ماتت ، أي انها لا تراها ، فمن الذي علم انث الفراش ان صغارها متى خرجت

احتاجت الى التغذية بالنباتات الخضراء؟ ومن الذي هداها الى وضع بيضها على تلك النباتات ولم تلق بها في أي مكان آخر؟ فلم يبق إلا القول بانها اهتمت هذه الاعمال من القدرة العليا التي ابدعتها .

والحشرات المسماة (نيكر وفور) تموت بعد ان تبيض مباشرة ، أي انها لم تر لها ذرية قط ، ولكنها قبل ان تبيض تعني كل العناية بوضع جثث حيوانية تضعها بجانب البيض لتكون غذاء لصغارها متى خرجت . فمن الذي ادرى هذه الحشرات ان في بيضها صغاراً ، وان تلك الصغار ستخرج في حاجة الى الغذاء ، وان ما تحتاج اليه هي تلك الجثث الحيوانية ؟ .

والحيوانات المسماة اوديتيرو (سفكس) تخرج صغارها من بويضاتها محتاجة إلى التغذية باجساد حيوانات (حية) ، فترى امهاتها تعتمد الى اصطيد حيوانات لا تقتلها ولكن تضربها في مجمع اعصابها بحيث تمنعها الحركة ، وتركها بعضها على بعض على تلك الحالة من العجز ، فاذا خرج صغارها وجدت امامها غذاءها الضروري لها .

وان الحيوانات المسماة (اكسيكوب) تعيش منفردة وتموت بعد ان تبيض اناثها مباشرة ، تخرج صغارها على حالة ديدان لا ارجل لها ولا تستطيع حماية نفسها من أية عادية ولا الحصول على غذائها ، ومع ذلك فحياتها تقتضي ان تعيش مدة سنة في مسكن مقفل وفي هدوء تام وإلا هلكت .

فترى الأم متى حان وقت بيضها تعتمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها سرداباً طويلاً ، فاذا أتمته أخذت في جلب ذخيرة اليه تكفي صغيراً واحداً مدة سنة ، تلك الذخيرة هي طاع الازهار وبعض الاوراق السكرية ، فتحشوها في قاع السرداب ثم تضع عليه بيضة واحدة ثم تأتي بنشارة الخشب وتكون منها عجينة تجعلها سقفاً على تلك البيضة ، ثم تأتي بذخيرة أخرى فتضعها فوق ذلك السقف ، ثم تضع بيضة أخرى ، وهلم جرا حتى يفرغ بيضها ، ثم تترك الكل وتموت .

فمن علم هذه الحشرة الضعيفة الساذجة هذه الصناعة المحيرة للعقل ؟ ومن افهمها وهي تموت بعد ان تبيض مباشرة ان صغارها في حاجة الى البقاء سنة في حالة ضعف وعجز ؟ ومن

الذي غرس في قلبها هذه العناية بنوعها حتى كلغتها كل هذه المشقة في وضع بويضاتها ؟

هذه الالهامات دليل محسوس على ان قيم الوجود يؤتي الكائنات علماً بما يقيمها ويصلحها من غير طريق الحواس التي لا تستطيع ان تكتسبه بها ، واذا صح هذا في عالم الحيوان فهو اولى بان يصح في عالم الانسان ، حيث اتصالاته بالافق الاعلى تكون اقوى ، واستعداده للقبول منها اكبر . وقد قرر علماء الطبيعة ان هذه المعارف الفطرية لدى الكائنات الحية هي الالهامات الهية لاشك فيها .

وشوهد في تاريخ البشرية حدوث تجديدات عقلية أو فنية في ارفع درجات السمو ولا يمكن تقليدها ، يؤكد الذين ظهرت على ايديهم انها أتهم عفواً بدون اجالة نظر فيها ولا اقل محاولة منهم لاحداثها بل لم تكن تخطر لهم على بال ، وهي تظهر شدوذاً وبدون تمهيد . وقد تمر اجيال دون ان يظهر في أي بقعة من الارض عبقرى واحد . واصحاب العبقرية في مجموع تاريخ النوع الانساني يعدون على الاصابع

وقد اعتبرها الفلاسفة الاقدمون حلالا علوية لا شأن للعقل فيها ، وليس المعاصرون لنا باقل من الاقدمين اكبارة للعبقرية ، وجنوحا الى نسبتها الى الذات الالهية .

ثم سرد الأستاذ اقوال اعظم علماء اوربا وفلاسفتها في تأييد ذلك . ثم قال : وانا لا اريد ان اثبت بما انقله ان النبوة عبقرية ، أو هي من نوع الحوادث التي سردناها هنا ، ولكننا سقنا ما سقناه للتدليل على امرين عظيمين :

أولها : وجود الهداية والتعليم بدون وساطة العقل العادي والحواس كما تدل عليه حياة الحيوان بجملةها ، والعبقرية بما آتت الناس من الابتكارات التي لم يهد اليها عقل ولم يحم حولها فكر ، على حالة خارقة للعادة .

ثانيها : وجود اتصالات روحانية باطنية تمد الانسان بعلم ، وتسعفه بهداية من غير طريق العقل العادي ، ولا من منافذ الحواس الخمس ، تقريرا للوحي من عقول الناس ، فقد اشتد شكهم فيه الى حد ان كذبوا النبوات وهي اعظم عوامل الانتقالات الفكرية والاجتماعية للنوع الانساني ،

وقد ابنتت عليها اكبر الاحداث التي غيرت مجرى الشؤون العالمية في جميع الادوار الانتقالية ، وليس مما يعقل او يناسب كرامة النوع البشري ان تكون هذه العوامل العلوية البعيدة الاثر في حياته قد قامت على اكاذيب متعمدة ، او اوهام فكرية .

ومن العبث المحض ان يثبت الباحث الطبيعي الهامما تبعته القدرة الالهية في احقر الحشرات ، وينفيه عن النوع البشري ، وهو في اشد الحاجة اليه في اول عهده بالحياة الاجتماعية ، وفي اثناء تطوراته في ادوار تلك الحياة المتعاقبة واني اظن بآني بما اثبته قد قربت للعقول حدوث الوحي لمن صرحوا للناس بانهم انبياء او مرسلون ، وحققت الحوادث صدقهم فيما دعوا اليه وحذروا منه

ان موقف العلم والدين يعبون من منبهله كان قبل الخمسين السنة الاخيرة موقف خصومة لكل معقول لا يمت الى المادة بسبب فكانت مسألة الوحي من المسائل التي يدحضها العلم بكل شدة ، ويعدها من البعد المحالات العامة ، ثقة منه ان

ليس وراء المادة عالم ارقى منها ، بل ليست الروح البشرية التي
تعتبر آية الخلق الا مظهراً من مظاهر المادة

وقد تغير موقف جمهور كبير من اعلام العلماء اليوم حيال
مسألة الروح الانسانية وعلاقتها بعالم اعلى وراء الحس ،
واستمدادها منه قوة وسلطانا لا تحصل عليهما في عالم المادة
مهما توسعت في علاقتها به ، وكان الباعث لهؤلاء العلماء على
تغيير آرائهم ، واكبابهم منذ نحو تسعين سنة على البحث في
النفوس الانسانية من طريق التنويم المغناطيسي والذهول الذي
يقع فيه بعض الناس فيصبرون به اداة لحدوث ظواهر خارقة
للعادة ليس لهم فيها اقل تأثير

فالتنويم المغناطيسي قد اثبت للانسان عقلاً باطنياً ارقى
من عقله العادي كثيراً ، وانه وهو في تلك الحالة يرى ويسمع
من بعد شاسع ما يحدث وما يقال ، ويقراً من وراء حجب ،
ويخبر عما سيحدث ، مما لا توجد في عالم الحس اقل علامة
لحدوثه ، شاهد هذه الاحوال ملايين من الناس حتى
اصبحت امراً لا يمكن المراة فيه

ان جمهوراً كبيراً من علماء الأرض أصبحوا يعتقدون بوجود عالم روحي ، وبوجود اتصال وثيق بينه وبين الروح الانسانية ، وان ذلك يظهر بوضوح في حالة النوم المغناطيسي وحالة الذهول التي يقع فيها بعض الناس بسبب مرض او بسبب استعداد عصبي فيهم ثم ختم بحثه بالعبارات التالية :

يرى قراؤنا مما قدمناه ان العلماء المنصرفين لدراسة الكون والكونيات قد ظهر لهم عقب حدوث اكتشافات خطيرة لم تكن تخاطر لهم ببال ، ان حدود العلم لا تزال بعيدة عنهم ، وان كل ما حصلوه منه لا يعدو العلاقات الموجودة بين بعض ما يقع تحت حسهم من الموجودات ، اما كنه تلك الموجودات وحقيقة النواميس التي تدبرها ، فلا يزال امرها مجهولاً ، وقد تجلى لهم ان من الحماقة وضع حد للممكنات ، والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه من المجهولات .

ثم يرى قراؤنا ايضا ان طائفة من أمثال هؤلاء العلماء ، قد وفقوا منذ تسعين سنة عقب ظهور حوادث محققة تدل على وجود عالم وراء العالم المحسوس ، الى التنقيب عن حقيقة

ذلك العالم ، جارين على اسلوبهم العامي من المشاهدة والتجربة ،
فوقفوا على امور لم يكن يدور في خلد أحد ان اقطاب العلم
المادي يعودون فيثبتون وجودها وقد سبق لهم نفيها ،
والتشنيع على القائلين بها من الشؤون الروحانية

ولسنا نريد ان نثبت امكان الوحي بالاستناد الى
اكتشافات هؤلاء العلماء في عالم ما وراء الطبيعة ، فقد اثبتنا
وجوده بالحس من الغرائز التي طبعت عليها الحيوانات ، ومن
حوادث العبقريات ، ولسكننا نستأنس بها في بحثنا هذا ،
ادلالا على ان الانسانية قد اجتازت دور الافتتان بالماديات ،
وبدأت تدخل الى عهد من الحياة تتفق فيها فتوحات الروح
من طريق النبوة ، وفتوحات العقل من طريق العلم ، فتستقيم
على الجادة التي توصلها الى كمالها المرجو لها ، خالصة من
الشبهات الرائنة على الصدور ، والشكوك المحيرة للعقول .

الملائكة

من مقال للشيخ عبد الرحمن الجزيري :

اما الملائكة — الذين هم واسطة بين الله ورسوله — فقد اتفق المسلمون وغيرهم من اهل الكتاب على ان لله ملائكة ، ولكنهم اختلفوا في بيان معنى الملك ، وجمهور علماء الكلام والحديث يقولون ان الملائكة مخلوقة من مادة . أما فلاسفة الاسلام فانهم يقولون انها مجردة عن المادة ، وسواء أ كانت مادية أم مجردة عن المادة ، فقد اتفقوا على ان لها قدرة على التشكل في صور مختلفة ، وقد عرفها المتكلمون والمحدثون بأنها اجسام هوائية لطيفة تقدر على التشكل بأشكال مختلفة . وبعضهم عرفها بأنها اجسام نورانية تقدر على التشكل . ولعلمهم يريدون أنها مخلوقة من مادة الهواء ولكن قد جعلهم الله فجعلهم كالنور . أما فلاسفة الاسلام فانهم يقولون إنها مجردة عن المادة كالروح الانسانية ، ولكنهم يقولون ان الله تعالى

يلبس كل ملك الصورة التي يريد ، ومن ذلك قوله تعالى :
« جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة »

وبيان ذلك : أن الفلاسفة يقولون إن العالم منه ما هو مجرد عن المادة ، ومنه ما هو مادي ، وليس من المعقول إنكار المجردات عن المادة مع كون الانسان نفسه مشتملاً على كثير من الأمور المعنوية الوجودية المجردة عن المادة . وكيف تنكر المجردات مع كون الألفاظ التي ينطق بها الانسان لها معان ثانية وهي مجردة عن المادة ، وكذلك الحب والغضب والفرح ونحو ذلك من الأمور التي يترتب عليها آثار ظاهرة مع كونها أموراً معنوية صرفة لا يمكن لأحد أن يعرف حقيقتها . وإذا ثبت أن بين الممكنات المحسوسة أموراً معنوية لا يمكن لأحد أن يدرك ماهيتها ولا يحكم عليها بالتحيز في المكان ونحوه مما تستلزمه المادة ، فلا معنى للحكم بأن كل شيء مادي . ولهذا ذهب بعض فلاسفة الاسلام (ومنهم الامام الغزالي) فقالوا : إن الروح الانسانية مجردة عن المادة ، وإنها متعلقة بالبدن تعلقاً معنوياً كتعلق العاشق

بعمشوقه ، فكما أن علاقة العشق أمر معنوي لا يمكن لأحد أن يدرك حقيقتها فكذلك الروح الانسانية التي بها الادراك الكلي مجردة عن المادة ، ومثلها الملائكة . وهو الظاهر المعقول الذي يؤيده ظاهر القرآن الكريم ، فقد قال تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » ، وهذه الاجابة تدل دلالة واضحة على أن الروح ليست مادية ، لأنها لو كانت كذلك لأوحى الله الى نبيه معناها المادي خصوصاً في مقام التحدي ، لأنهم كانوا يريدون أن يتحدوا رسول الله ﷺ بهذا السؤال ، ولذا قال بعد هذا : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فهو سبحانه خاطب السائلين من أهل الكتاب وغيرهم من المساميين بأنهم عاجزون عن ادراك حقيقة الروح وغيرها من الأمور المعنوية التي خلقها الله تعالى ، بل هم عاجزون عن إدراك حقائق الأمور المادية كذلك ، لأن الانسان عاجز عن العلم بحقائق الأمور البسيطة التي يعجز عن تحليلها ، وكل ما يستطيع هو معرفة أجزاء المركبات من عناصر مختلفة ، حتى إذا انتهى الى أجزائها التي لا يمكن

تحليلها وقف عند هذا الحد من العلم . وقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن لا يجعل للنوع الانساني حاجة الى معرفة حقائق الأشياء ، بل جعل حاجته الى خواصها ومزاياها . فالإنسان من حيث هو إنسان ليس في استعداده إدراك حقيقة المجردات مطلقاً ، وليس في استعداده إدراك حقيقة الأجزاء التي يذهي اليها تحليل المركبات المادية ، وكل ما يمكن أن يعلمه الإنسان إنما هو خصائص هذه المركبات ومزاياها التي ينتفع بها النوع الانساني

ومن هذا تعلم أن العالم الممكن منه ما هو مادي ومنه ما هو مجرد عن المادة ، والملائكة من المجردات ، ولها قدرة على التشكل بأشكال مختلفة . هذا هو رأي فلاسفة الاسلام أما المتكلمون والمحدثون فقد انكروا المجردات عن المادة بتاتاً وقالوا : ان المنزه عن المادة وعلاقتها هو الله وحده ، ومع ذلك فقد قالوا إن الملائكة مع كونهم ماديين مخلوقين من الهواء فان لهم قدرة على التشكل بأشكال مختلفة .
ولكن الفلاسفة الذين يقولون إن الملائكة مجردون

عن المادة ، يقولون إن تعريف الملائكة بأنهم أجسام هوائية لطيفة يرد عليه أمران :

(أحدها) أن الجسم اللطيف لا يقدر على الأفعال الشاقسة ، بل هو يتلشى بأقل قوة وبأدنى سبب يصل اليه من الخارج ، وهذا لا يتفق مع ماورد من أن الملائكة لها قوة وبطش لا حد لها بالنسبة لجميع الاجسام المخلوقة .
والجواب : أن القوة والبطش وشدة البأس لا تتنافى مع الدقة واللطافة ، لان الله تعالى قادر على أن يمنح اللطيف قوة عظيمة لا يوجد عشر معشارها في الاجسام الضخمة . وذلك مشاهد محس في كثير من الاجسام ، فان الانسان الرقيق القوام قد يأتي بأفعال شاقة عظيمة يعجز عن القيام بها ذوو الاجسام الضخمة ، فانه قادر على أن يقتل الحديد ويكسر الحجر ويتسلط بقوته على صاحب الجسم الضخم ، بل نرى كثيراً من الحيوانات الرقيقة القوام لها قوة تفتك بكثير من الحيوانات الضخمة . وهذا هو الاسد الصغير يمكنه أن يفتك بالجمل الغليظ ، وبالجمار الضخم وغيرها من الحيوانات ، فالقوة

لا تتبع الاجسام ولكنها في الواقع مستندة الى ارادة الاله القادر الذي يفعل ما يشاء . وهذا الجواب حسن .

(ثانيها) أن يقال : ما فائدة تشكّل الملائكة بأجسام قابلة للتأثر بما يتأثر به الجسم الانساني مع كون الوحي لا يستلزم هذا التشكّل كما عرفت مما ذكرناه لك في معنى الوحي ؟ وقد يجاب عن هذا بأن تشكّل الملك بشكل الإنسان لكون طبيعة الإنسان لا تأنس عادة إلا الى نوعه فالرسل صلوات الله عليهم وإن كانوا قد يتصلون بربهم بدون واسطة ملك يتمثل في صورة الإنسان ، ولكن مجيء الوحي في صورة انسان يستلزم زيادة أنس واطمئنان للرسول ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : إن أحسن الأحوال عنده هي الحالة التي كان يأتيه الوحي فيها في صورة دحية الكلبي ، وهي صورة رجل جميل من أصحابه . وذلك لأن طبيعة الإنسان مهما كان حاله من القرب بربه أكثر ميلاً وأشد إطمئناناً الى تلقي الاوامر الالهية من إنسان مثله . على أن سنة الله في خلقه قد اقتضت أن تكون اوامره ونواهيّه بواسطة رسل من النوع الانساني

غالباً ليقطع على المنكرين حججهم ، ويسد عليهم باب العناد في طلبهم الاتصال بالاله مباشرة ، فكأنه سبحانه يقول لهم : إن هذا الرسول مع كونه من المقربين الي بشر مثلكم ، ولا يمكن ان ارسل اليه ملكا على الهيئة التي خلقته عليها ، لان الانسان من حيث هو إنسان عاجز عن ادراك حقيقة الملك ، وعاجز عن التفاهم معه كما لا يمكن لبشر أن يتصل بي إتصالا مباشراً وهو على حالته المادية التي تحول بينه وبين المنزه عن جميع المواد وتحجبه عن إدراكه ، وبذلك يرد عليهم طلبهم الذي طلبوه عنادا . ولهذا قال تعالى : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » . وذلك لأن المشركين اقترحوا أن يرسل الله مع محمد ملكا يبلغهم ، أو يأتيهم ملك بدون محمد ليبلغهم رسالة ربهم ، فرد الله عليهم ذلك بقوله « ولو جعلناه ملكا » الخ .

هذا هو اعتقاد علماء المسلمين وفلاسفتهم ، وهو لا ينافي القول بأن الارواح مجردة عن المادة ، لان المسلمين الذين يقولون بتجردها عن المادة يقولون إنه لا مانع من ان هذا

المجرد يتعلق بمادة ذات صورة من الصور المألوفة للرسول
أما الفلاسفة الذين ينكرون تعلق المجردات القائمة بنفسها
بمادة تتشكل فيها بأشكال مختلفة فإن قواءدهم لا تأتي أن
تكون الملائكة أرواحا مجردة عن المادة ، ولكنهم ينكرون
نزول الوحي في صورة إنسان أو غيرها من الصور . وهذا
الإنكار ليس مبنيا على استحالة عقلية ، بل كل ما قالوه في
هذا المقام أن تشكل الملك في صورة إنسان أو في صورة شيء
له طنين كطنين الجرس ، برفع الثقة بالوحي لجواز أن يكون
الملك نحاة تطن أو يكون إنسانا آخر غير ملك . ولكن هذا
الكلام صادر عن غفلة بمقام الرسول ، وجهل بالشرط
الأساسي الذي تنبني عليه الرسالة ، وهو أن الرسول
معصوم عن الخطأ في فهم جميع ما يأتيه من عند الله ، فبحال
أن يشكل على الرسول أمر الملك ، وبحال أن يأتيه رجل آخر
في صورة دحية أو غيره ويبلغه عن ربه كذبا . ومن هذا
يتضح أن الملك سواء كان مجردا عن المادة أو كان ماديا فإنه لا
يأتي الرسول غالبا في صورته الحقيقية ، وقد عرفت أنه لا
مانع من أن يلبس صورة بشر أو غيرها من الصور التي يريد

الله تعالى . والظاهر المعقول يؤيد فلاسفة الاسلام القائلين إن
الملائكة مجردون عن المادة والله تعالى يلبسهم الصور التي يريد
أما الذين ينكرون وجود الملائكة رأساً فهم مارقون
من الدين الإسلامي وغيره من الأديان التي لها كتاب ، وذلك
يدل على أنهم قريبون من الماديين الذين ينكرون الإله
وينكرون كل معنى من المعاني الغيبية ، فهم قوم لا يؤمنون
بالغيب ، وبذلك يهدمون قواعد الأديان : من وجود إله ،
ووجود يوم القيامة ، وغير ذلك . وهذا جهل وسخافة ، فإن
كثيراً من الأمور المادية التي لم تكن مألوفة في زمن من
الأزمان وكان الأخبار بوجودها يكاد يكون مستحيلاً عند
أمثال هؤلاء ، قد أصبحت أموراً عادية يدركها الصغير
والكبير ، كاللأسلكي ، فانتنا قبل وجوده ما كنا نكاد
نصدق بأن شخصاً يتكلم وراء البحار بكلمة فنسمعها بمجرد أن
ينطق بها ، وغير ذلك من الأمور التي جاء بها العلم ، فهي
تدل على أن الله تعالى قد أودع في هذا العالم من الأسرار
والحكم ما لا يحصيه إلا هو ، سبحانه وتعالى ، كما قال :
« ويخلق ما لا تعلمون » .

نزول القرآن

إقتضت حكمة الله تعالى أن لا ينزل القرآن جملة واحدة بل منجماً مفرقاً ، فكانت آياته تنزل بحسب الوقائع والحوادث ومقتضيات الأحوال ، أو جواباً لأسئلة واستفتاءات ، وهذا ما يسهل حفظه وتعليقه على ما هو دون العادي من الحوافظ والملكات ، قال تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً . » .

وكان جبريل عليه السلام يلقي على النبي ﷺ ما يلقي من الآيات فينطبع في قلبه ﷺ انطباعاً قسرياً ، وينقدح في نفسه انقداحاً لا تستطيع له رداً ولا تملك له تغييراً ولا تبديلاً ، ولا يصيبها فيه اضطراب ولا خطأ ولا نسيان ولا زيادة ولا نقصان ، كما ينتقل الكلام من المتكلم الى لوحة الحاكي اذا نفخ في صورها بصوت تلقنه كاملاً غير منقوص ثم تعيده كما نفخ فيها ، قال تعالى : « سنقرؤك فلا تنسى . » .

ولنزول القرآن منجماً أسباب :

١ - ان نزوله جملة واحدة يفوت على المسامعين ذلك

التشوف والترقب الذي هو أقوى الأسباب في سهولة حفظه عليهم ، ولا صراء في أن ما تترقبه النفس ترقباً يتمكن منها أكثر مما يفاجئها على غير ترقب وانتظار والله يريد أن يعيه المسلمون ويحفظوه .

٢ — أنه معجز في كله وفي أجزاءه ، وفي غالب أوقاته ينزل منه القدر المعجز ، فهو في منزلة تكرر الاعجاز بتكرر النزول ولا ريب في أن استمرار ذلك ٢٣ سنة أبلغ فيه من حصوله مرة واحدة .

٣ — انه مرب للامة في بلاغتها وبيانها فهو كل يوم يلقي عليها درساً جديداً في البلاغة والبيان .

٤ — أن العرب ليسوا سواء في البلاغة وتناول الاحكام منه ففي تنجيده تيسير على متحفظيه ومستخرجي احكامه .

٥ — أنه كان ينزل في الغالب بحسب الحوادث التي تعن للرسول صلى الله عليه وسلم فتكون فصل الخطاب في احكام تلك الحوادث والمسائل المشككة .

كما أن في انزاله منجماً ما يسهل التكليف على المؤمنين ،

وما يزيد في بصيرتهم ، فان تنزيهه متضمناً الأخبار عن الفيوب
والفصاحة التامة بحسب الوقائع يزيد المبالغة في اعجازه إذ
التحدي بما نزل منه أول الأمر يجعل كل نجم متحدى به
وعجزهم عن معارضة كل جزء أقطع دليلاً على أنهم عن معارضة
جميعه أعجز ، وإن هذا ما يزيد قوة في قلبه ﷺ وخوراً
في عزائمهم (١)

وكذلك لو أزاله تعالى جملة واحدة لكان استوائه في
الفصاحة والاعجاز آية قد يجوز على العقل فهمها ولكنه مع
طول الزمان وتغاير المكان واختلاف الاحوال ظلت طبقته
في الفصاحة واحدة مستوية فكانت آيته فوق طوق العقل
وعلاوة كلام الخالق الاعلى ، إذ لو كان من نفس ذات احساس
بشري لتلونت آياته بتلون قائلها إذ ما يكون لبشر أن يمكث
على حالة واحدة بضعاً وعشرين سنة يمنح الكلام من نفسه
على وتيرة مستوية ، والكلام كما يعرفه القراء لونه من لون
متكلمه .

ونزل القرآن في خلال ثلاث وعشرين سنة وخمسة أشهر .
وكان أول ما نزل من الوحي بمكة قوله تعالى : « اقرأ
باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك
الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » وذلك عندما
كان صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء يوم الاثنين ١٧ من رمضان
في السنة الحادية والاربعين من ميلاده استة من آب ٦١٠
ميلادية لقوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان
النبي صلى الله عليه وسلم يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتردد
لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فاجأه الحق وهو
في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت : ما أنا بقاريء ، قال : فاخذني فغطني ^(١) حتى
بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقاريء ،
فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال :
اقرأ ، فقلت ما أنا بقاريء ، فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ

(١) الغط : العصر الشديد .

مني الجهد فارسلني ، فقال ، اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى
بلغ ما لم يعلم ، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره .
ولم ينزل بعد هذه الآية شيء من القرآن الكريم لمدة
ثلاث سنوات ، وتسمى هذه المدة زمن (فترة الوحي)

وبعد هذه المدة اخذ ينزل منجماً لما في ذلك من التثبيت
لفؤاده ﷺ : « وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن
جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » .

وكانت تنزل عليه ﷺ بعض الآية كقوله تعالى : « فان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم
حكيم » والآيات الخمس ، والعشر ، كما كانت تنزل السورة
كلها مثل سورة الفاتحة ، والاخلاص ، والسكوثر ، وتبت ،
ولم يكن ، والعصر ، والمرسلات ، والمدثر .

وأخر ما نزل منه « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » وكان نزولها في
حجة الوداع والناس وقوف بعرفة ، وكان بين نزول هذه الآية
ووفاته ﷺ واحد وثمانون يوماً لسنة احدى عشرة للهجرة .

عشر نزول القرآن

نزل قسم من القرآن الحكيم بمكة ونواحيها وذلك قبل الهجرة وهي اثنتا عشرة سنة وخمسة اشهر وثلاثة عشر يوماً من يوم ١٧ رمضان سنة ٤١ من ميلاده صلى الله عليه وسلم الى اول يوم من شهر ربيع الاول سنة ٥٤ من ميلاده . ويسمى هذا القسم بالسور المكية او المكي .

ونزل قسم آخر بالمدينة وذلك بعد هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وان نزل بغيرها ، ويسمى هذا القسم بالسور المدنية او المدني .

وعدة سور القرآن الكريم (١١٤) اربع عشر ومائة سورة ، نزل منها بمكة المكرمة قبل الهجرة (٨٦) ست وثمانون سورة ، ونزل (٢٨) ثمان وعشرون سورة في المدينة المنورة ، واكثرها من السور الطوال .

وعدد آيات القرآن (٦٢١٧) على قول نافع ، و (٦٢١٤) عند شيبه ، و (٦٢٣٦) عند الكوفيين ،

و (٦٢١٩) عند البصريين و (٦٢٢٦) عند الشاميين ،
وذلك على حسب القواعد التي اتخذوها لعدد الآيات .
وسبب ذلك ان النبي ﷺ كان يقف على رؤوس
الآي للتوقيف فاذا علم محلها وصل لتمام فيحسب السامع
حينئذ انها ليست فاصلة . وقد اختلف في عدد آي القرآن
على حسب اختلاف العادين . والعدد منسوب الى خمسة بلدان
وهي : مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام .
وعدد كلمات القرآن (٧٧٩٣٤) كلمة .

اما عدد حروف القرآن فقد اختلف في ذلك حسب القواعد
الاملائية :

ف قيل : « ٣٢١١٨٠ » حرفاً

وقيل : « ٣٢٣٠١٥ » حرفاً

وقيل : « ٣٢٣٦٧١ » حرفاً

وقيل : « ٣٤٠٧٤٠ » حرفاً

اما تفصيل الحروف فهي كما يلي :

الالف — ٤٨٧٤٠

الباء — ١١٤٢٠

التاء — ١٤٠٤

الثاء — ١٠٤٨٠

الجيم — ٣٣٢٢

الحاء — ٤١٣٨

الخاء — ٢٥٠٣

الدال — ٥٩٩٨

الذال — ٤٩٣٤

الراء — ٢٢٠٦

الزاء — ١٦٨٠

السين — ٥٧٩٩

الشين — ٢١١٥

الصاد — ٢٧٨٠

الضاد — ١٨٨٢

الطاء — ١٢٠٤

الظاء — ٢٨٤

العين — ٩٤٧٠

الغين — ١٢٢٩

الفاء — ٩٨١٣

القاف — ٨٠٩٩

الكاف — ٨٠٢٢

اللام — ٣٣٩٢٢

الميم — ٢٨٩٢٢

النون — ١٧٠٠٠

الواو — ٢٥٥٠٦

الهاء — ٢٦٩٢٥

الألف واللام — ١٤٧٠٧

الياء — ٢٥٧١٧

فالسور المدنية الثمانية والعشرون هي :

البقرة [إلا الآية ٢٨١ فانها نزلت بمنى في حجة الوداع]
وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، [إلا الآية ٣ فانها
نزلت بعرفات في حجة الوداع] ، والانفال [إلا من آية ٣٠
الى غاية آية ٣٦] ، والتوبة [إلا الآيتين الاخيرتين] ، والرعد

والحجج] إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٦ فانها نزلت بين مكة والمدينة [، والنور ، والاحزاب ، ومحمد] إلا الاية ١٣ فقد نزلت في الطريق اثناء الهجرة [والفتح ، والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والتحريم ، والانسان ، والبينة ، والزلزلة ، والنصر

والسور المنكية الست والثمانون هي :

الفاتحة ، والانعام ، [إلا الآيات ٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ فمدنية] والاعراف [إلا الآيات ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ فمدنية] ، ويونس [إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فمدنية] ، وهود [إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية] ، ويوسف [إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية] ، و ابراهيم [إلا آيتي ٢٨ و ٢٩ فمدنيتان] والحجر [إلا الاية ٨٧ فمدنية] ، والنحل [إلا الآيات ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ فمدنية] ، والاسراء [الا

الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧
و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ فمدنية [، والكهف] إلا الآيات ٢٨ و
٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣
و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ فمدنية [
ومريم] إلا آيتي ٥٨ و ٧١ فمدنيتان [، وطه] إلا
آيتي ١٣٠ و ١٣١ فمدنيتان [والانبياء ، والمؤمنون ، والفرقان
إلا الايات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية] ، والشعراء [إلا الآيات
١٩٧ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ فمدنية] والنمل ، والقصاص
[إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة
اثناء الهجرة] ، والعنكبوت [إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٤
و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ فمدنية] ، والروم [إلا آية
١٧ فمدنية] ولقمان [إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية]
والسجدة [إلا الآيات ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ فمدنية] ،
وسبأ [إلا الآية ٦ فمدنية] وفاطر ، ويس [إلا الآية ٤٥
فمدنية] والصفات ، و ص ، والزمر [إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤
فمدنية] وغافر [إلا آيتي ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان] ،
وفصلت ، والشورى [إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧

فمدنية [والزخرف] [إلا الآية ٥٤ فمدنية] ، والدخان
والجائية [إلا الآية ١٤ فمدنية] ، والاحقاف [إلا الآيات ١٠
و ١٥ و ٣٥ فمدنية] وق [إلا الآية ٣٨ فمدنية] ،
والذاريات ، والطور ، والنجم [إلا الآية ٣٢ فمدنية] والقمر
[إلا الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ فمدنية] ، والواقعة [إلا آتي
٨١ و ٨٢ فمدنيتان] والملك ، والقلم [إلا الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩
و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩
و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ فمدنية] والحاقة ،
والمعارج ، ونوح ، والجن ، والمزمل [إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠
فمدنية] ، والمدثر ، والقيامة ، والمرسلات [إلا الآية ٤٨ فمدنية]
والنبا ، والنازعات ، وعبس ، والتكوير ، والانفطار ، والمطففين ،
والانشقاق ، والبروج ، والطارق ، والاعلى ، والغاشية ،
والفجر ، والبلد ، والشمس ، والليل ، والضحي ، وألم نشرح
والتين ، والعلق ، والقدر ، والعاديات ، والقارعة ، والتكاثر ،
والعصر ، والهمزة ، والفيل ، وقريش ، والماعون [إلا الآيات
٤ و ٥ و ٦ و ٧ فمدنية] . والكوثر ، والكافرون ، والمسد
والاخلاص ، والفلق ، والناس .

الفرق بين المسكى والممدنى

المسكى من الآيات ما نزل قبل الهجرة سواء نزل في مكة نفسها أم في اطرافها ، حتى أن ما نزل في سفر الهجرة يعد مكياً .

والممدنى من الآيات هو ما نزل بعد وصول النبي ﷺ الى المدينة سواء بالمدينة نفسها أم في غيرها . هذا هو القول الراجح لدى العلماء .

ويمتاز المسكى غالباً باشماله على القواعد الكلية والأسس الاصلية ، وأهم ذلك :

١ - إثبات وجود الصانع وتمكين قواعد التوحيد بعد استئصال شأفة الشرك وعبادة الاوثان . ولما كان معظم العرب لدى ظهور الاسلام لا ينكرون وجود الصانع وإنما يشركون به غيره كانت معظم الآيات المسكية ترمي الى اثبات اوحداية وتبرهن عليها وتفند عقيدة الشرك وعبادة الاوثان ومحور كل ما يتصل بالاصنام من تحريم ما يذبح عليها أو له صلة بها :

كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وما لم يذكر اسم الله عليه الى غير ذلك مما له صلة بالوثنية .

٢ - إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم الى خلقه وانه رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وليخرج الناس من الظلمات الى النور .

٣ - اثبات الدار الآخرة التي يثاب فيها المحسنون ويعاقب الظالمون .

٤ - بيان الصفات والخصال التي تقرب العبد من ربه وتدخله دار ثوابه والخصال التي تبعد العبد من ربه وتهوي به الى دار عقابه .

٥ - الأمر باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولكن الصلاة قد فصلت بالمدينة .

٦ - الاذن بقتال الكافرين والمعاندين وهذا آخر ما نزل بمكة .

ويعتاز المدني بأمر أهمها :

١ - اشتماله على أخبار الغزوات وأسبابها وما الى ذلك .

- ٢ — فرض صلاة الجمعة وبيان صلاة الخوف .
 - ٣ — فرض صوم رمضان
 - ٤ — فرض الحج
 - ٥ — بيان مصارف الزكاة
 - ٦ — نظام الأسرة . من زواج وتعدد زوجات ومن يصح تزوجها ومن لا يصح وحقوق الزوجين وواجباتها وتفصيل الموارث .
 - ٧ — وضع أسس المعاملات كالوفاء بالعقود ، والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل ، وكيفية توثيق الدين وغير ذلك .
 - ٨ — شرع الحدود كحد الزنى والقذف والسرقة وقطع السبيل .
 - ٩ — القصاص سواء كان بالانفس أو بالاطراف .
- وصيغة الخطاب في المكي تارة تكون بيا أيها الناس وتارة تكون بيا بني آدم . وفي المدني يغلب ان تكون بيا أيها الذين آمنوا
- وكل سورة فيها ذكر المنافقين مدنية إلا العنكبوت لأن

المنافقين لم يكونوا بمكة وكل سورة فيها سجدة مكية الا الحج
إذ الراجح انها مدنية ، كما أن كل سورة فيها كلمة (كلا)
مكية لأن عبارات الزجر والردع إنما تليق بالجبايرة سكان
مكة .

وجاء في تفسير المنار ما ملخصه :

إن جل السور المكية في أصول الايمان الاعتقادية من
الالهيات والوحي والرسالة والبعث والجزاء وغيرها من عالم
الغيب ، وقصص الرسل مع أقوامهم ، ويلى ذلك فيها اصول
التشريع الاجالية العامة ، والآداب والفضائل الثابتة ، ويتخلل
هذا وذاك محاجة المشركين ودعوتهم الى الايمان بتلك الاصول
ودحض شبهاتهم ، وابطال ضلالاتهم ، وتشويه خرافاتهم .
أما السور المدنية فتكثر فيها قواعد الشرع التفصيلية ،
وأحكام الفروع العملية ، بدلا من أصول العقائد الايمانية ،
وقواعد التشريع العامة المجملة ، كما تكثر في بعضها محاجة أهل
الكتاب ، وبيان ما ضلوا فيه عن هداية كتبهم ورسولهم ،
ودعوتهم الى الايمان بنخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم

أجمعين . وفي بعضها بيان ضلالات المنافقين ومفاسدهم وكل
من هذا وذاك يقابل ما في السور المكية من بيان بطلان
الشرك وغواية أهله ...

وجاء فيه أيضاً :

أن أكثر السور المكية لاسيما المنزلة في أوائل البعثة
قوارع تصخ الجنان ، وتصدع الوجدان ، وتفزع القلوب
الى استشعار الخوف ، وتدع العقول الى اطالة الفكر ، في
الخطبين الغائب والعتيد ، والخطيرين القريب والبعيد ، وهما
عذاب الدنيا بالابادة والاستئصال أو الفتح الذاهب بالاستقلال
وعذاب الآخرة وهو أشد وأقوى ، وأنكى وأخزى ، وبكل
من هذا وذاك انذرت السور المكية اوائك المخاطبين اذا
أصروا على شركهم ، ولم يرجعوا بدعوة الاسلام عن ضلالهم
وأفكهم ، ويأخذوا بتلك الأصول المجملة التي هي الحنيفية
السمجة السهية ، وليست باشيء الذي ينكره العقل ، أو
يستثقله الطبع ، وإنما ذلك تقليد الآباء والأجداد يصرف
الناس عن سبيل الهدى والرشاد .

راجع تلك السور العزيزة ولا سيما قصار المفصل منها
كالخاقة ما الخاقة ، والقارعة ما القارعة ، واذا وقعت الواقعة
واذا الشمس كورت ، واذا السماء انفطرت ، واذا السماء
انشقت ، واذا زلزلت الارض زلزالها ، والذاريات ذرواً ،
والمرسلات عرفاً ، والنازعات غرقاً .

تلك السور التي كانت بنذرها ، وفهم القوم لبلاغتها
وعبرها ، لفرعهم من سماع القرآن ، حتى ينفروا من الداعي
ﷺ من مكان الى مكان (٧٤ : ٥٠ كانوا حمر مستنفرة فرت
من قسورة) ، (١١٥ : ٥ ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا
منه ألا حين يستعشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ثم
الى السور المسكية الطوال فلا تجدها تخرج في الاوامر والنواهي
عن حد الاجمال كقوله عز وجل (١٧ : ٢٣ وقضى ربك ألا
تعبدوا إلا إياه وبالدين إحساناً) الى ٣٧ منها ، وقوله بعد
إباحة الزينة وانكار تحريم الطيبات من الرزق (٧ : ٣٢ قل
إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي
بغير الحق وان تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون)

وأما السور المدنية فني أسلوبها شيء من الأسباب ولا سيما في مخاطبة أهل الكتاب لأنهم أقل بلاغة وفيها من العرب الاصلاح ولا سيما قریش ، وما فيها من الكلام في أصول الدين أكثره حاجة لهم (لأهل الكتاب) ونعمي عليهم واثبات لتحريرهم ما نزل اليهم ، وابتداعهم فيه واعراضهم عن هدايته ونسيانهم حظاً مما ذكروا به ، ودعوة لهم الى التوحيد الخالص توحيد الالهية والربوبية ، وبيان لكون الاسلام الذي جاء به القرآن ، هو دين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

وفي هذه السور المدنية أيضاً بيان لما لا بد منه من الاحكام العملية في العبادات والمعاملات الشخصية والمدنية والسياسية والحربية ، ولاصول الحكومة الاسلامية والتشريع فيها ، كما تراه في طوال المفصل منها كالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة .

وقال الخضري : لكل من المكي والمدني مميزات متى عرفها المتعلم أمكنه التمييز بينهما منها :
أولاً : ان آيات المكي على الجملة قصار بخلاف الآيات

المدنية ، وشاهد ذلك أن السور المدنية تزيد قليلا على ١١ / ٣٠ من القرآن وعدد آياتها (١٤٥٦) أي أنها تزيد قليلا على ربع مجموع آياته ، ومن الأمثلة القريبة على ذلك جزء (قد سمع) كله مدني وعدد آياته (١٣٧) ، وجزء (تبارك) مكّي وعدد آياته (٤٣١) ، وجزء (عم) مكّي وعدد آياته (٥٧٠) .

ومن ذلك الأفعال والشعراء كلتاها نصف جزء من القرآن ، لكن الأولى مدنية عدد آياتها ٧٥ والثانية مكية عدد آياتها ٢٢٧ .

وهذا المميز أغلبي فقد يوجد في الآيات المكية طول واكثره في السور الطوال .

ثانياً : خطاب الجمهور في الآيات المدنية يغلب أن يكون قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا ، وقلمما يرد بقوله : يا أيها الناس . وأما في خطابه في الآيات المكية فبالعكس ، ولم نر في السور المكية يا أيها الذين آمنوا . أما في السور المدنية فورد يا أيها الناس سبع مرات :

١ - يا أيها الناس اعبدوا ربكم (البقرة ٢٠)

٢ - يا ايها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا
(البقرة ١٦٧)

٣ - يا ايها الناس اتقوا ربكم (النساء ١)

٤ - أن يشأ يذهبكم ايها الناس (النساء ١٣٣)

٥ - يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
(النساء ١٧٠)

٦ - يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
(النساء ١٧٤)

٧ - يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر واثى
(الحجرات ١٣)

ثالثاً : آيات المكي ليس فيها شيء من التشريع التفصيلي ،
بل معظم ما جاء فيها يرجع الى المقصد الاول من الدين وهو
توحيد الله سبحانه وتعالى واقامة البراهين على وجوده
والتحذير من عذابه ووصف يوم الدين وأهواله ونعيمه والحث
على مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله ﷺ ليكملها ، ثم
ضرب الأمثال بما أصاب الأمم حينما خاطب مادعاها اليه

انبياؤها . أما التشرية التفصيلية فمعظمه وارد في الآيات المدنية .
وان التالي للآيات الملكية ليجد فيها شدة واسراً لا
يجدها في الآيات المدنية ، ذلك لأن النبي كان بمكة مضطهداً
قليل الناصر ، فكان بحاجة الى من يشد عضده ويربط
على قلبه ، فجعل الله له قوة التبليغ ما يجعله يؤمن كل الايمان
بفوز حقه على باطلهم وقهر دينه لوثنيتهم ، ومن أمثلة
هذه الآيات قوله تعالى : « انا انصر رسلنا والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » وقوله : « وليعلمن
نبأه بعد حين » وقوله : « فاصبر ان وعد الله حق ولا
يستخفئك الذين لا يوقنون » وقوله : « قل رب اما تريني
ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين » .

وأما الآيات المدنية فقد كانت في قص حوادث الغزوات
واستخلاص العبرة منها للمسلمين ، كما كانت في بيان العبادات
والمعاملات من صلاة الجمعة وصلاة الخوف والصيام والحج
والزكاة والقصاص والزواج والميراث ، والتنبيه على آداب
اجتماعية كآداب الاستئذان ورد التحية والتهبي عن ابداء
الزينة الى غير ذلك من الآداب التي لا يصلح الاجتماع بدونها .

مجمع القرآن

كان النبي ﷺ عندما ينزل عليه الوحي وهو بين اصحابه تلا عليهم ما نزل عليه لساعته ، وإذا نزل عليه في غير محضر القوم خرج اليهم فتلقوه منه وحفظوه عنه ، ثم يأمر كتاب وحيه بكتابة ما ينزل بين يديه من آي الذكر الحكيم في جرائد النخل والأ. كتاف وترتب الآيات حسب إرشاده ﷺ الى مواضعها . قال مالك رضي الله عنه : إنما الف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ . وذكر ابو بكر الأنباري في كتاب الرد : ان الله تعالى أنزل القرآن جملة الى سماء الدنيا ، ثم فرق على النبي ﷺ في عشرين سنة ، وكانت السور تنزل في أمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر يسأل ويوقف جبريل رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية . بدليل أن النبي ﷺ كان يقرأ سوراً كاملة كالبقرة وآل عمران والنساء . وفي البخاري : أنه قرأ الأعراف في المغرب ، وقد أفلح المؤمنون في الصبح ، وهل أتى في صبح الجمعة أو خطبتها .

روي عن عثمان بن العاص رضي الله عنه انه قال : كنت
جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم
صوبه ثم قال أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا
الموضع من السورة « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء
ذي القربى » الآية .

فانساق السور كانساق الآيات والحروف ، فكاه عن محمد خاتم
النبين عليه الصلاة والسلام عن رب العالمين . فمن آخر سورة
مقدمة ، أو قدم أخرى مؤخرة ، فهو كمن أفسد نظم الآيات
وغير الحروف والكلمات ، ولا حجة على اهل الحق في تقدم
البقرة على الانعام . والانعام نزلت قبل البقرة ، لأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أخذ عنه هذا الترتيب ، وهو كان
يقول : ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن .
وكان جبريل عليه السلام يقفه على مكان الآيات .

روي النيسابوري عن ابن عباس قال : كان رسول الله
إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال : ضعوا هذه
السورة في الموضع الذي يذكر فيها كذا وكذا . وقال عثمان

ابن عفان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضع هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وأخرج البخاري عن ابن مسعود قال : والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت . وقال أيوب : سألت رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع .

قال البغوي في شرح السنة : الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدموا شيئاً أو أخرجوا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه

الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة الى السماء الدنيا ثم كان ينزل مفروقاً عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة .

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن في الرقاع .

وقد قال عليه الصلاة والسلام كما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد : لا تكتبوا شيئاً غير القرآن .

وقد كان كتاب الوحي على قول ستة وعشرين صحابياً ، وعلى قول آخر اثنين وأربعين صحابياً ، وأشهرهم : ابو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلي ابن ابي طالب ، وعامر بن فهيرة ، وأبي بن كعب ، وثابت بن قيس بن شماس ، ويزيد ابن ابي سفيان ، والزيير بن العوام ، والمغيرة بن شعبة ، وخالد بن الوليد ، والعلاء بن الحضرمي ، وعمرو بن العاص ، وعبدالله بن الحضرمي ، ومحمد بن سلامة ، وعبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ، وابان بن سعيد ،

والأرقم ابن ابي الأرقم ، وحنظلة بن الربيع الأُسدي ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وحبان بن سعيد بن العاص ، وعبدالله بن الأرقم الزهري ، وعبدالله بن سعد بن ابي سرح ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعيقيب بن ابي فاطمة . رضي الله عنهم أجمعين .
وأما معاوية ابن ابي سفيان ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما فكانا يلازمان الكتابة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك ، وكان النبي يكتب من الوحي يوضع في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكتب الكتاب لهم صورة ويدلهم النبي عليه الصلاة والسلام على موضعها من السورة .

وقد كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن على جريد النخل وصفائح الحجارة وعظام الأكتاف والأضلاع من الشياخ والابل . كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يرشدهم الى موضع كل آية من السورة التي ينبغي أن تكون فيها .

والمصاحف التي عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وقرأت عليه ثلاث : مصحف عبد الله بن مسعود ،

ومصحف أبي بن كعب ، ومصحف زيد بن ثابت وهو آخرها
عرضا على النبي صاوات الله وسلامه عليه إذ كان في سنة وفاته
وبقراءته كان يقرأ عليه الصلاة والسلام ، ولذلك اختاره
المسلمون .

وجاء في صحيح البخاري من حديث قتادة قال : سألت
أنس بن مالك رضي الله عنه عن جمع القرآن على عهد النبي صلى
الله عليه وسلم قال : أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ،
ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قلت لأنس من
أبو زيد ، قال : أحد عمومي .

وقول أنس انه لم يجمع القرآن غير أربعة يحتمل انه لم
يجمع القرآن وأخذه تلقيناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير أولئك الأربعة لأنه قد ثبت بالطرق المتواترة انه جمع
القرآن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتميم الداري ، وعبادة بن
الصامت ، وعبدالله بن عمرو بن العاص .

وانما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة ما
ينزل عليه من القرآن الكريم وجمعه لتبليغ الوحي على الوجه

الأكل لأن الاعتماد على حفظ الصحابة غير كاف لأنهم عرضة للنسيان والموت فلو اعتمد على حفظهم وحده لخشي ضياع شيء منه بالنسيان أو الموت ، أما الكتابة فباقية لا يتطرق إليها شيء من ذلك وليعاضد المكتوب المحفوظ

وقال الذهبي : عثمان أحد من جمع القرآن على عهد الرسول قرأ عليه المغيرة ابن أبي شهاب المخزومي . وقال أبو عبد الرحمن السلمي قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين ، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت لأنه كتبها لرسول الله وقرأها عليه وشهد العرضة الأخيرة ، وكان يقرأ الناس بها حتى مات ولذلك اعتمدها أبو بكر وعمر في جمعه ، وولاه عثمان كتابة المصاحف .

وقد أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه زيد بن ثابت كاتب الوحي رضي الله عنه فكتب له القرآن لما رأى أن أكثر القراء قد قتلوا في حرب اليمامة سنة ١٢ من الهجرة وكان في ربيع الأول وبئر معونة في حروب الردة . وذلك أن عمر

بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى ما أصيب به المسلمون
باليمامة وان القتل قد اشتد بحفاظ القرآن فقد بلغ من قتل
منهم سبعين وقيل سبعمائة فزع الى ابي بكر رضي الله عنه
وذكر له ذلك وأنه يخشى أن يشتد القتل بالقراء وحفظه
القرآن في بقية الحروب وأن يموت أشياخ القراء كأبي بن كعب
وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت ، فيرى أن يأمر بجمع
القرآن في قطع الجلد المدبوغ . فأرسل ابو بكر رضي الله عنه
الى زيد بن ثابت وفأخه بذلك وقال له انك رجل عاقل لا
تهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، فتتبع زيد القرآن اجمعه من جريد
النخل والاحفاف — وهي حجارة بيض رقاق — فكان هذا
الجمع عبارة عن جمع الآيات المكتوبة في الأكتاف وجريد
النخل والحجارة ونسخها في الأديم ، وقال الحارث المحاسبي
في كتابه فهم السنن : كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه صلى
الله عليه وسلم كان يأمر بكتابتها ولكنه كان مفرقاً في الرقاع
والأكتاف والعصب ، فانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى

مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة اوراق وجدت في بيت رسول الله
فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط لا يضيع منها شيء .
وقد احتاط ابو بكر الصديق رضي الله عنه في هذا الجمع كل
الحيطة ولم يقتصر على المكتوب و المحفوظ في الصدور بل
ضم الى ذلك ما يزيد الثقة والطمأنينة في القلوب وهو شهادة
الشهود على أن هذا مكتوب بين يدي الرسول عليه الصلاة
والسلام ويدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق
هشام بن عروة عن أبيه أن ابا بكر قال لعمر ولزيد : اقعدا على
باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله
فاكتباه . وقد قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه : أعظم
الناس أجراً في المصاحف ابو بكر رضي الله تعالى عنه ، رحمة
الله على ابي بكر هو أول من جمع كتاب الله ، فكانت هذه
الصحف عند ابي بكر رضي الله عنه حتى توفاه الله ، ثم
انتقلت الى عمر الفاروق رضي الله عنه فكانت عنده طوال
حياته ، ثم انتقلت الى حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
وبنت عمر رضي الله عنها .

ولما كان زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد اتسعت
الفتوحات وكثر الأختلاف في القراءة بحسب اللهجات لتفرق
القراء والحفاظ في البلاد ، ولأختلاط العرب بالأمم الأعجمية
بحيث أصبح يخشى على القرآن وانتهه ، أحس حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه قائد عثمان رضي الله عنه وكان يغازي أهل الشام
في أرمينية واذربيجان مع أهل العراق بسوء عاقبة هذا
الأختلاف عندما تنازع القريقان ، وقرأت كل فرقة بما
روى لها . قال ابن الأثير : فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص
لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً لئن ترك الناس ليختلفن في
القرآن ثم لا يقومون عليه أبداً ، قال : وما ذلك ؟ قال :
رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءاتهم خير من
قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد بن الأسود ،
ورأيت أهل دمشق يقولون إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم
وأنهم قرأوا على أبي الدرداء ، ورأيت أهل الكوفة يقولون
مثل ذلك وأنهم قرأوا على عبد الله بن مسعود ، وأهل البصرة
يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على أبي موسى الأشعري

ويسمون مصحفه (لباب القلوب) ، فلما وصلوا الى الكوفة
 أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف ، فوافقه اصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من التابعين ،
 وقال له أصحاب ابن مسعود : ما تنكر ؟ ألسنا نقرؤه قراءة
 ابن مسعود ؟ فغضب حذيفة ومن وافقه ، وقالوا انما انتم
 أعراب فاسكتوا فانكم على خطأ ، وقال حذيفة : والله لئن
 عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس
 وبين ذلك ، فانغلظ له ابن مسعود ، فغضب سعيد وقام ، وتفرق
 الناس ، وغضب حذيفة وسار الى عثمان فاخبره بالذي رأى ،
 وقال : أنا النذير العريان فادركوا الامة ، فجمع الصحابة
 واخبرهم الخبر فاعظموه ورأوا جيماً ما رأى حذيفة فبعث
 عثمان رضي الله عنه الى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها فبعثت
 اليه بالمصحف ، ثم أرسل الى زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير
 وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم
 أن ينسخوها في المصاحف ، ثم قال لهم ما اختلفتم فيه انتم
 وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم ، وذلك في

رسم الحروف لا في تأليف الآيات وتركيب الجمل لأن ذلك
كان مفروغاً منه على عهد رسول الله ﷺ متفقاً عليه بين
جميع الحفاظ .

وكانت تلك المصاحف التي استنسخت سبعة ، فارسل منها
الى مكة ، والشام ، واليمن ، والبصرة ، والسكوفة ، والبحرين ،
وحبس نسخة بالمدينة وهي مصحفه الذي يسمى بالامام .

فكل عمل عثمان رضي الله عنه هذا سوق المسامين الى
قراءة واحدة ألا وهي لغة قريش التي نزل القرآن بها وكان
النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بها .

وقد ارتضى الصحابة رضوان الله عليهم هذا العمل ، وقد
قال علي رضي الله عنه لمن سمعهم يتكلمون عن عمل عثمان في
هذا الامر : لا تقولوا في عثمان إلا خيراً ، فوالله ما فعل الذي
فعل بالمصاحف إلا عن ملاءمة اصحاب محمد ، فقال ما تقولون
في هذه القراءات التي اختلف الناس فيها ، يلقي الرجل الرجل
فيقول : قراءتي خير من قراءتك ، وقراءتي افضل من قراءتك
وهذا شبيه بالكفر ، فقلنا ما الرأي يا أمير المؤمنين ، قال فاني

أرى ان اجمع الناس على مصحف واحد ، فانكم ان اختلفتم
اليوم كان من بعدكم اشد اختلافاً ، فقلنا نعم ما رأيت ،
فارسل الى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص فقال ليكتب أحدكم
وليل الآخر ، فاذا اختلفتم في شيء فارفعوه إلي ، فما اختلفنا
في شيء من كتاب الله الا في حرف من سورة البقرة قال
سعيد (التابوت) بالتاء ، وقال زيد (التابوه) بالهاء ، فرفعا
الامر الى عثمان فقال اكتبوه التابوت بالتاء ، فما كان
الاختلاف الا في رسوم الخط والكتابة .

قال القاضي ابو بكر في الاقتصار : لم يقصد عثمان قصد
ابي بكر في نقش القرآن بين اوحين وانما قصد جمعهم على القراءة
الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والغاء ما ليس
كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل
اثبت مع تنزيل ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه
ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من
يأتي بعد

وكان ابتداء الكتابة من سنة ٣٠ وقد امتدت الى سنة
٣٥ من الهجرة فعندئذ كل الاستنساخ وارسلت النسخ .

وعين عثمان رضي الله عنه زيد بن ثابت ان يقريء بالمدينة
ولمحت عامر بن قيس مع المصحف البصري ، وأبا عبد الرحمن
السامي مع المصحف الكوفي ، والمغيرة بن شهاب مع المصحف
الشامي ليدرسوا الناس بتلك المصاحف ، وقرأ كل اهل مصر
بما في مصحفهم .

وقد أخذ المسلمون ينسخون مصاحفهم عليها ويعتنون
بذلك العناية كلها ويتنافسون في ذلك حتى ظهرت طبقة من
بين المسلمين نالت المركز والدرجة القصوى في حسن الخط
وبراعة الاستنساخ .

فالجمع^(١) الاول كان جمع الآيات حين نزولها في الكتف
وامثاله مما كانت العرب تكتب عليه وعرضها على النبي صلى
الله عليه وسلم .

والجمع الثاني : في عهد الخليفة ابي بكر رضي الله عنه
كان جمع القرآن بين لوحين ونسخها في قطع الأديم
والجمع الثالث : في عهد عثمان رضي الله عنه كان جمع
المسلمين على قراءة واحدة .

قَطُّ المصاحف

نشأ الاسلام في بيئة أمية لا تعرف القراءة والكتابة ، وكان الذين يحسنونها يعدون على الاصابع . وكان الخط المتداول في الحجاز هو الذي يسمى بالحيري القديم او الانباري ومن بعد سمي بالحجازي وهو اصل النسخ ، فانتشر ذلك الخط بين المساميين واصبح المصطلح الرسمي بينهم ، وقد كتب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم القرآن الحكيم وكانوا اربعة واربعين - على أصح الاقوال - من كتاب الوحي بتلك الكتابة وبذلك الرسم وكان ذلك بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأقرهم عليه ، وهو حجة شرعية كقوله وفعله صلى الله عليه وسلم فاصبح اتباع ذلك الرسم بالصفة المعروفة مما لا يجوز تغييره ولا تبديله . قال صاحب الابريز عن شيخه عبد العزيز الدباغ : رسم القرآن سر من اسرار المشاهدة وكمال الرفعة ، وهو صادر من النبي صلى الله عليه وسلم وليس للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة ، وانما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي امرهم ان يكتبوه على الهيئة المعروفة

بزيادة الالف ونقصانها ونحو ذلك لأسرار لاتهتدي اليها
المقول إلا بالفتح الرباني وهو سر من الاسرار خص الله به
كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية ، فكما ان نظم
القرآن معجز فرسمه معجز ايضاً . وكان عليه الصلاة والسلام
يعلم كتابه كيفية كتابة الحروف والكلمات فمن ذلك قوله
لاحدهم : « اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد
الرحمن » وقوله لآخر : « اذا كتبت بسم الله الرحمن
الرحيم فبين السين فيه » وقوله لمعاوية ابن ابي سفيان رضي الله
عنه : « الق الدواة وحرف القلم والصب الباء وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم » .

وحينما أراد ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه
كتابة نسخ من القرآن الكريم استحضر المصحف الذي كان
عند حفصة بنت الفاروق وزوج الرسول واستحضر زيد بن
ثابت وضم اليه نفرأ من قريش فكتبوه على الصفة التي كتب
بها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافق الصحابة
كلهم على ذلك ولم يختلفوا الا في كتابة التاء من آخر

(التابوت) أتكتب مفتوحة كتاء الطاغوت أم مربوطة كهاء
(التوراة) ، ولما رفع الأمر الى عثمان رضي الله عنه جمع
الصحابة وشاورهم في الامر فاتفقت كلمتهم على ان يكتبوها
باء مفتوحة تبعاً للغة قريش ولم يقع هذا الاختلاف في هذا
الحرف إلا بسبب طول المدّة ، وان اجماع الصحابة رضوان
الله عليهم على كتابة المصاحف بهذا الرسم - وقد كانوا اثني
عشر ألفاً - حجة في الدين لا يجوز مخالفتها شرعاً ، وقد ورد في
الحديث الصحيح « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور
فان كل بدعة ضلالة » وقوله عليه الصلاة والسلام « اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر » وقوله « اصحابي كالنجوم
بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

قال عبد الرحمن بن هانيء البربري مولى عثمان : كنت عند
عثمان رضي الله عنه وهم يعرضون عليه المصاحف فارسلني
بكتف شاة الى ابي بن كعب فيها « لم يتسن » وفيها :
« لا تبديل للخلق » وفيها : « فامهل الكافرين » قال : فدعا

الدواة فيها احدى اللامين فكاتب : « خلق الله » ومحا
« فامهل » وكتب « فمهل » وكتب « لم يتسنه » بالهاء .

سئل الامام مالك رضي الله عنه : رأيت من استكتب
مصحفاً أرى ان يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء
اليوم ، فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتابة
الاولى . قال السخاوي : والذي ذهب اليه مالك هو الحق اذ
فيه بقاء الحالة الاولى الى ان يعامها الطبقة الاخرى بعد الاخرى
ولا شك ان هذا هو الاخرى ، اذ في خلاف ذلك تجهيل
الناس باولية ما في الطبقة الاولى . وقال ابو عمرو الداني ولا
مخالف لمالك من عاماء الامة في ذلك . وسئل مالك ايضاً عن
الحروف في القرآن مثل الواو والالف أترى ان يغير من
المصحف اذا وجد فيه كذلك ؟ قال : لا — يعني الواو والالف
المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ —

وقال الامام احمد رضي الله عنه : تحرم مخالفة خط مصحف
عثمان في واو او الف او ياء أو غير ذلك .

وقال البيهقي في شعب الايمان : من يكتب مصحفاً ينبغي

ان يحافظ على المهجاء الذي كتبوا به تلك المصحف ولا يخالفه فيه ولا يغير مما كتبوا شيئاً فانهم كانوا اكثر علماً واصدق قلباً ولساناً واعظم أمانة منا فلا ينبغي ان نظن بانفسنا استدرا كما عليهم .

وقال ابن الحاج في المدخل : ويتعين عليه - كاتب المصحف - ان يترك ما حدثه بعض الناس في هذا الزمان ، وهو ان ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الامة على ما وجد به بخط عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقال عبد الرحمن بن القاضي المغربي بعد ذكره النقول المذكورة : ولا يجوز ذلك ، ولا يلتفت الى اعتلال من خالف بقوله : ان الامة لا تعرف مرسوم المصحف العثماني الى آخر ما عللوا به ، فهذا ليس بشيء لأن من لا يعرف المرسوم من الامة يجب عليه ان لا يقرأ في المصحف حتى يتعلم القراءة على وجهها ، ويتعلم مرسوم المصحف ، فان فعل غير ذلك فقد خالف ما اجتمعت عليه الامة وحكمه معلوم في الشرع الشريف

ومن عالٍ بشيء فهو سرود عليه لمخالفته الاجماع المتقدم ،
وقد تسدّت هذه المفسدة الى خلق كثير من الناس في هذا
الزمان فليتحفظ من ذلك في حق نفسه وحق غيره .

وقال القاضي عياض في الشفاء : اجمع المسلمون على أن
من نقص حرفاً قاصداً لذلك ، او بدله بحرف آخر مكانه او
زاد حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الاجماع
واجمع على انه ايس من القرآن عامداً لسكل هذا انه كافر .
وجاء في المحيط البرهاني : انه ينبغي ان لا يكتب المصحف
بغير الرسم العثماني .

وقد اجمع العلماء على حرمة مخالفة الرسم العثماني لانها
يترتب عليها تغيير في النطق وصلاً أو وقفاً لذلك وجب كتابة
المصحف على الرسم المصطلح السلفي دون غيره لان ذلك وضع
لأداء جميع القراءات المروية عنه صلى الله عليه وسلم وبغيره يفوت ذلك
القصيد ، فالصحابه الكرام لم يجمعوا على هذا الرسم جزافاً
وانما كان على اساس يدركه فقهاء اللغة وعاماء الدين وتترتب
عليه الاحكام ولا سيما في الامالة والوقف ، فالوقف مثلاً على

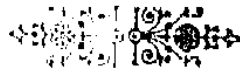
نعمة ورحمة وسنة لا يعلم أهو بالهاء او التاء الا بالرسم ،
وكذلك المحذوف منه الياء او الواو بغير عامل لا يعلم الا بالرسم
مثل قوله تعالى « أجيب دعوة الداع اذا دعان » وقوله تعالى
« وسوف يأتي الله » وقوله تعالى « ويدع الانسان بالشر
دعاه بالخير » وكذلك الموصول والمقطوع مثل : كما ،
وانما ، وعمما ، وأمن . فالموصول نحو قوله تعالى « كما أضاء
لهم مشوا فيه » والمقطوع نحو قوله تعالى « كما ردوا الى
الفتنة اركسوا فيها » ومثل ألا وألم بنون او بغير نون ،
وكذلك اخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد
كقوله تعالى « وما يخذعون الا انفسهم » وقوله تعالى « وتمت
كلمة ربك صدقاً وعدلاً » فلو كتبت الاولى وما يخذعون
انما تت قراءة يخذعون ، ولو كتبت الثانية بالف على قراءة
الجمع لفاتت قراءة الافراد .

وان القواعد الاملائية التي حدثت منذ عهد التأليف
والتدوين لم يتفق عليها واضعوها ، بل اختلفوا في رسم كثير
من الكلمات كما هو مدون في مواضعه ، وهي بعد ذلك عرضة

للتغيير والتبديل ، وقد صارت اليوم موضع شكوى وتفكير نظراً لما فيها من كتابة احرف لا وجود لها في النطق ، وترك احرف منطوق بها ، فلا ينبغي والحالة هذه ان يخضع القرآن في رسمه لهذه القواعد المختلف عليها والتي هي عرضة للتغيير والتبديل .

وقد أجمع الائمة على انه لا يجوز كتابة القرآن بغير اللغة العربية لان كتابته بغيرها تخرجه عن الرسم الوارد الذي قام الاجماع على انه يجب التزامه بل قد تؤدي كتابته بغير العربية الى التغيير في اللفظ ، لأن بعض الحروف العربية لا نظير لها في بعض اللغات الاخرى . وقال ابو بكر محمد بن الفضل البخاري وهو من علماء الحنفية : ان تعمد كتابة القرآن بغير العربية يكون مجنوناً أو زنديقاً ، فالجنون يداوى والزنديق يقتل . وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني بتحريم كتابة القرآن بالمعجمة والقراءة بها ، ووجه ذلك بان القرآن العظيم بالمعجمي تصرف في اللفظ المعجز الذي حصل التحدي به بما لم يرد بل يؤهم عدم الاعجاز بل الركاكة الى آخر ما ذكره . وقال شيخ الاسلام المرغيناني في كتابه

التجنيس : ويمنع من كتابة القرآن بالفارسية لأنه يؤدي الى
الاخلال بحفظ القرآن لاننا أمرنا بحفظ النظم والمعنى وانه
دلالة على النبوة ولانه ربما يؤدي الى التهاون بأمر القرآن .
وقالت لجنة الفتوى بالازهر : اجمع علماء الاسلام سلفاً وخلفاً
على ان كل تصرف في القرآن الكريم يؤدي الى تحريف في
لفظه او تغيير في معناه فمنوع منعاً باتاً ومحرم تحريماً قاطعاً
وقد التزم الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم الى يومنا هذا
كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية ، ومن هذا يتبين ان
كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة لا يجوز .



وضع الاء عمراب والاء عمجام

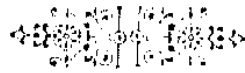
لما انتشر الاسلام واختلط العرب بالاعاجم ، ظهر الاءحن على اسان بعض العرب فانثبه الغيارى من المسلمين الى النهوض والعمل لصيانة القرآن المجيد من ان يتسرب اليه من ذلك شيء فخطبوا في ذلك زياد ابن ابيه امير البصرة وكان من فصحاء العرب وبلغائهم ، فبعث زياد الى ابي الاسود الدؤلي وكلمه في هذا الامر وقال له : ان هذه الجراء — يريد غير العرب — قد كثرت وافسدت من أسنة العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله ، فامتنع ابو الاسود ان يضع ذلك باديء ذي بدء ، ولكنه مر في أحد الايام في احدى الطرق فسمع قارئاً يقرأ : « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بكسر اللام من رسوله ، فاضطر الى اجابة زياد فيما سأله وأرسل اليه كاتباً من عبدالقيس ، فقال ابو الاسود للكاتب : خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فاذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه واذا كسرتها

فانقط واحدة اسفاهه واذا ضممتها فاجعل النقطة بين الحرف
فان تبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين . وعلى
هذه الطريقة أعرب القرآن العظيم كاه .

واتبعوا طريقة أبي الأسود ونوعوا فيها ، فكانوا إذا
رأوا الحرف الذي بعد المنون حرف حلق وضعوا نقطتين
احداها فوق الاخرى علامة على أن النون مظهرة والا
وضعوها متجاورتين علامة على الادغام أو الاخفاء . وقد زاد
أهل المدينة للحرف المشدد علامة على شكل القوس طرفاه من
أعلى (س) يوضع فوق الحرف المفتوح وتحت المكسور
وعلى شمال المضموم ، ويضعون نقطة الفتحة في داخل القوس
والكسرة تحت حذبه والضممة على شماله ، ثم استغنوا عن
النقطة وقلبوا القوس مع الضمة والكسرة وابقوه على أصله
مع الفتحة ، ثم حدث تغيير في صورة الشكل على يد الخليل
بن احمد .

ولما كان القرآن غير معجم كثر التصحيف في القراءة
وأخذ البعض يتلفظ حرفاً مكان حرف . فانتبه لهذا الامر

الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق ، فبعث الى نصر بن
عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر العدواني وطلب اليهما وضع نقط
على الاحرف افراداً وازواجاً لتمييزها ، وكذا وضع الحركات
والساكنات بدل النقط التي وضعت من قبل أبي الاسود
الدؤلي لكيلا تلتبس مع نقط الحروف . وإن الحجاج قد
زاد فعهد الى العلماء تحزيب القرآن وتمشيره .
والف أحد علماء واسط إثر ذلك كتاباً في القراءات
جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط .



التجويد

التجويد مصدر من جوده تجويداً والأسم منه الجودة ضد الرداءة ، فهو عبارة عن الاتيان بالقراءة مجودة الالفاظ بريئة من الرداءة في النطق واعطاء الحروف حقها ومستحقها . فالتجويد هو حلية التلاوة ، وزينة القراءة ، وهو اعطاء الحروف حقها وترتيبها ومراتبها ، ورد الحرف الى مخرجه واصاله ، والحاقه بنظيره وتصحيح لفظه ، وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته ، من غير اسراف ولا تعسف ، والى ذلك اشار النبي صلى الله عليه وسلم بترويه : (من احب ان يقرأ القرآن غضباً كما انزل فليقرأ قراءة ابن ام معبد) يعني عبد الله بن مسعود ، وكان رضي الله عنه قد اعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيبه ، حتى انه كان يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تلاوته . .

ان الاسماع لتلتذ بقراءة القرآن الحكيم مجوداً مصححاً في تلاوته ، وتخشع القلوب عند قراءته ، حتى يكاد يساب العقول ويأخذ الالباب (١)

(١) ملخص عن النشر في القراءات العشر

كأس التملوة وعموبها

ويجب على طالب التجويد ان يكرر الالفاظ التي تلقاها
من ثم استاذة ويريض بها لسانه حتى يستقيم في اخراجها على
الصورة اللازمة . قال ابو عمرو الداني : ليس بين التجويد
وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه ، فليس التجويد بتمضيغ
اللسان ، ولا بتقوير الفم ، ولا بتعريح الفك ، ولا بترعيد
الصوت ، ولا بتمطيط الصوت ، ولا بتقطيع المد ، ولا
بتظنين الغنات ، ولا بحصرمة الراءات ، ولا قراءة تنفر عنها
الطباع وتمجها القلوب والأسماع ، بل القراءة السهلة العذبة
الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها ولا لوك ، ولا تعسف ولا
تكلف ، ولا تصنع ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب
وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والاداء

وقد سمع حمزة قارئاً يبالغ في الغنات فقال : أما علمت
أن ما فوق البياض برص ، وان ما فوق الجمود قطط ، وان
ما فوق القراءة ليس بقراءة .

فالقراءة بهذه العيوب التي ذكرت ممنوعة ممنوعة ،
يأنف منها الطبع ويمجها السمع لما فيها من التكلف والتعسف
ولأنها مخالفة للنطق العربي الفصيح . فالواجب مراعاة اخراج
الحروف من مخارجها فلا ينطق بالعين همزة ولا بالحاء هاء ، ولا
بالضاد طاء او دالا ، كما يجب توفية الحروف حقها من الصفات
كالترقيق ، والتفخيم ، والادغام ، والاظهار ، والاختفاء ،
والقلقلة ، والشدة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات ،
والمد ، والقصر ، والاذلاق ، والهمس ، والرخوة ، والاستعلاء
والجهر ، والتوسط ، والانحراف ، والتكرير ، والصفير ، والتفشي ،
والاطباق ، والاستطالة ، والغنة ، واللين . وان لم يفعل يكن
من الداخلين في قوله عليه الصلاة والسلام (رب نال للقرآن
والقرآن يلعنه)

وقال ابن الجزري في كتابه النشر :

لا شك في ان المسامين كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن
واقامة حدوده ، متعبدون كذلك بتصحيح الفاظه واقامة
حدوده على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية

والافصحية العربية التي لا يجوز مخالفتها ولا المدول الى غيرها
والناس في ذلك بين محسن ومأجور ، ومسيء وآثم ، او
معذور ، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح
العربي الفصيح وعدل الى اللفظ الفارسي العجمي والنبطي
القبيح استغناء بنفسه واستبداداً برأيه واتكالا على ما ألفه
من حفظه ، واستكباراً عن الرجوع الى ما لم يوقفه على
تصحيح لفظه ، فانه مقصر بلا شك وآثم بلا ريب ، وأما من
كان لا يطاوعه لسانه او لا يجد من يهتدي به الى الصواب ،
فان الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وقد اجمع العلماء على
ان النقص في كيفية النطق بالقراءة كالنقص في جوهر
القرآن ومادته ، فمن نقص مدة أو غنة ، أو نخم مرققاً أو
رقق مفخماً ، أو أظهر مخفياً أو مدغماً ، كان كمن نقص بعض
حروف القرآن وأسقط شيئاً من كلماته ، والزيادة كالنقص
فمن زاد في الغنات والمدود أو بالغ في بعض صفات الحروف
حتى خرج بها عن الحد المألوف ، أو مطط في الحركات حتى
تولد عنها الفات وواوات وياوات ، كان كمن زاد في القرآن

ما ليس منه من الحروف والكلمات ، وكلا النقص والزيادة في القرآن حرام وبدعة مردودة . اهـ .

فتجويد القرآن فرض على كل مسلم ومسلمة عند التلاوة ، صيانة له عن أن يجد اللحن والتغيير اليه سبيلا . فتجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الاداء واجب على كل من قرأ شيئاً من القرآن كيف ما كان لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلا اليه ، فكما يجب تدبر القرآن وفهم معناه يجب تصحيح الفاظه واقامة حروفه على الصفة المتلقاة عن أئمة القراءة المأخوذة عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام

وإن الاداء في القراءة متواتر ، وقال العلماء إن اصل المد والامالة متواتر ، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف في كلفيته وانما ثبت آحاداً فقط ، وأما أنواع تحقيق الهمزة فكماها متواتر ، لأنه اذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر ادائه

مخارج الحروف

المخرج في الأصل : موضع الخروج ، والمراد هنا موضع ظهور الحرف وتمييزه عن غيره ، ويجب على تالي القرآن ان ينطق بالقائمه وحروفه بحسب ما ورد عن جبريل عليه السلام عن رسول الله ﷺ ، ويحتاج ذلك لمعرفة مخارج الحروف وصفاتها كي تتميز الحروف بعضها عن بعض ، ولكي يعرف كمية كل منها وكيفيته

فمخارج الحروف سبعة عشر على القول المختار وهي :

١ - الجوف : وهو مخرج للالف ، والواو الساكنة

المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها

٢ - أقصى الحلق : وهو مخرج للهمزة ، والهاء

٣ - وسط الحلق : وهو مخرج للعين ، والحاء

٤ - أدنى الحلق الى الفم : وهو مخرج للغين ، والحاء

٥ - أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى : مخرج

القاف

٦ — أقصى اللسان ومن أسفل مخرج القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى : مخرج الكاف

٧ — من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى :

مخرج الجيم ، والشين

٨ — من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من

الجانب الأيسر : مخرج الضاد

٩ — من حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرفه وما

بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق

الضاحك والنايب والرابعة والثنية : مخرج اللام

١٠ — من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا :

مخرج النون

١١ — من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا غير انه

ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام :

مخرج الراء

١٢ — من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً الى

جهة الحنك : مخرج الطاء ، والذال ، والتاء

(١٠٢)

١٣ — مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى : مخرج

الزاي ، والسين ، والصاد

١٤ — مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا :

مخرج الظاء ، والذال ، والثاء

١٥ — من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا :

مخرج الفاء

١٦ — ما بين الشفتين : مخرج الباء ، والميم

١٧ — الخيشوم : مخرج النون الخفيفة

وإذا أراد القاريء أن يعرف مخرج الحرف فليسكنه أو

يشدده وهو الأظهر ، أو يدخل عليه همزة الوصل ، وليصغ

إليه فحيث انقطع الصوت في الفم فذاك مخرجه



صفات الحروف

ان الصفات للحروف كالناقد للأُمور بعلم ودراية تميز الحروف المشتركة بعضها عن بعض وتبين كيفية النطق بها . وقد ذكر العلماء ان الحروف تسعة عشر صفة ، عشرة متضادة ، وتسعة ليست بمتضادة ، وذكر آخرون ان صفات الحروف اثنتان وعشرون ، وقد فصل ذلك علماء التجويد . فالصفات المتضادة هي :

١ — الجهر : وضده — الهمس

٢ — الرخوة : وضدها — الشدة ، والتوسط

٣ — الاستفال : وضده — الاستعلاء

٤ — الافتتاح : وضده — الاطباق

٥ — الاصمات : وضده — الاذلاق

والصفات التي لا ضد لها هي :

١ — الصغير

٢ — القلقة

- ٣ — اللين
- ٤ — المدّ
- ٥ — الانحراف
- ٦ — التكرير
- ٧ — التفشي
- ٨ — الاستطالة
- ٩ — الغنة

ولنذكر هنا جدولاً للحروف الهجائية وصفاتها :

أ — الجهر^(١)، والشدة^(٢)، والاستفال^(٣)، والانفتاح^(٤)،

-
- (١) الجهر : احتباس مجرى النفس مع تحرك حروفه
 - (٢) الشدة : احتباس جري الصوت عند إسكان حروفه
 - (٣) الاستفال : انخفاض اللسان عند التلفظ بحروفه الى الحنك الأعلى

(٤) الانفتاح : هو انفتاح قليل من اللسان والحنك الأعلى بحيث يخرج الريح من بينها عند النطق بحروفه

والاصمات^(١) ، والمد^(٢) ، والترقيق^(٣)

ب — الجهر ، والشدة ، والاستفال ، والانفتاح ،
والاذلاق^(٤) ، والقلقلة^(٥) ، والترقيق .

ت — الهمس^(٦) ، والشدة ، والاستفال ، والانفتاح ،
والاصمات ، والترقيق .

ث — الهمس ، والرخوة^(٧) ، والاستفال ، والانفتاح ،
والاصمات ، والترقيق .

(١) الاصمات : منع انفراد حروفه اصولا في الكلمات الرباعية
والخماسية

(٢) المد : اطالة الصوت بحرف مدي من حروف العلة

(٣) الترقيق : تنحيف الحرف بجعله في المخرج نحيفاً وفي
الصفة ضعيفاً

(٤) الاذلاق : الاعتماد على طرف اللسان والشفة عند النطق

(٥) القلقللة : اضطراب الحرف عند النطق به ساكناً مماثلاً

الى الفتح حتى يسمع له نبرة قوية

(٦) الهمس : جري النفس مع تحرك حروفه

(٧) الرخوة : جري الصوت مع حروفه حال اسكانها

ج — الجهر، والشدة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والقلقلة، والترقيق.

ح — الهمس، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والترقيق.

خ — الهمس، والرخوة، والاستعلاء^(١)، والانفتاح، والاصمات، والتفخيم^(٢).

د — الجهر، والشدة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والقلقلة، والترقيق.

ذ — الجهر، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والترقيق.

ر — الجهر، والتوسط^(٣)، والاستفال، والانفتاح،

(١) الاستعلاء: ارتفاع اللسان عند التلفظ بحروفه الى الحنك الأعلى

(٢) التفخيم: تسمين الحرف بجعله في المخرج سميناً وفي الصفة قوياً.

(٣) التوسط: هو الذي لم يجر الصوت مع حروفه جريانه -

والاذلاق ، والانحراف^(١) ، والتكرير^(٢) والترقيق .

ز — الجهر ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ،
والاصمات ، والصفير^(٣) ، والترقيق .

س — الهمس ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ،
والاصمات ، والصفير ، والترقيق .

ش — الهمس ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ،
والاصمات ، والتفشي^(٤) والترقيق .

— مع الرخوة ولم ينحبس معه انحباسه مع الشدة

(١) الانحراف : ميل الحرف بعد خروجه حتى يتصل
بمخرج غيره

(٢) التكرير : ارتفاع رأس اللسان عند النطق بالحرف

(٣) الصفير : صوت زائد يخرج من بين الشفتين

(٤) التفشي : انتشار الريح من الفم عند النطق بالحرف حتى
يتصل بمخرج غيره الذي هو الظاء

ص - الهمس ، والرخوة ، والاستفال ، والاطباق^(١) ،
والاصمات ، والصفير ، والتخفيم .

ض - الجهر ، والرخوة ، والاستعلاء ، والاطباق ، والاصمات ،
والاستطالة^(٢) والتفخيم .

ط - الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والاطباق ، والاصمات ،
والقلقة ، والتفخيم .

ظ - الجهر ، والرخوة ، والاستعلاء ، والاطباق ، والاصمات
والتفخيم .

ع - الجهر ، والتوسط ، والاستفال ، والانفتاح ،
والاصمات ، والترقيق .

غ - الجهر ، والرخوة ، والاستعلاء ، والانفتاح ، والاصمات
والتفخيم .

(١) الاطباق : انطباق اللسان الى الحنك الأعلى عند النطق

(٢) الاستطالة : امتداد الحرف من مخرجه من اول حافة
اللسان الى آخرها حتى يتصل بمخرج اللام .

ف — الهمس ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاذلاق والترقيق .

ق — الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والانفتاح ، والاصمات والقلقلة ، والتفخيم .

ك — الهمس ، والشدة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات والترقيق .

ل — الجهر ، والتوسط ، والاستفال ، والانفتاح ، والاذلاق والانحراف ، والترقيق .

م — الجهر ، والتوسط ، والاستفال ، والانفتاح ، والاذلاق والغنة^(١) والترقيق .

ن — الجهر ، والتوسط ، والاستفال ، والانفتاح ، والاذلاق والغنة ، والترقيق .

و — الجهر ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات واللين^(٢) والمد ، والترقيق .

(١) الغنة : صوت يخرج من الخيشوم وهو اقصى

الانف (٢) اللين : هو اخراج الحرف من غير كلفة وبتوأدة

هـ — الهمس، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات
والترقيق .

لا — الجهر، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات
والاشتراك بين الترقيق والتفخيم .

ي — الجهر، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات
واللين، والمد، والترقيق .



القاب الحروف

للحروف القاب آخر عدا التي ذكرناها وهي :

الحلقية — وتكون في : العين ، والهاء ، والحاء ، والخاء ،
والغين ، والهمزة .

اللهوية — وتكون في : القاف ، والكاف .

الشجرية — وتكون في : الجيم ، والشين ، والضاد ، و«الشجر

مفرج الفم»

والاسلية — وتكون في : الصاد ، والسين ، والزاي . «لان

مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرفه»

والنطعية — وتكون في : الطاء ، والذال ، والتاء ، «لان

مبدأها من نطع الفار الاعلى .

واللثوية — وتكون في : الظاء ، والذال ، والثاء . «لان

مبدأها في اللثة»

والذلقية — وتكون في : الراء ، واللام ، والنون .

والشفوية — وتكون في : الفاء ، والباء ، والميم .

والهوائية — وتكون في : الواو ، والالف ، والياء .

القراءات

القراءات : هي نوع من التلاوة توافق لغة العرب ولو من وجه ، وقد تواتر سندها ووافقت أحد المصاحف العثمانية ، فما لم يوافق لغة العرب ولم يتواتر سنده ولم يوافق احد المصاحف العثمانية فليس بقرآن .

وقد نزل القرآن بسبعة احرف تنتظم جميع اللغات العربية وهي متفاعة عن النبي ﷺ وموقوفة على السماع . روى البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابو داود ومالك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : سمعت هشام بن حكيم ابن حزام يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرأنها رسول الله ﷺ فكذت ان أساوره في الصلاة فتربصت به حتى سلم فلببته بردائي . فقلت له من اقرأك هذه السورة ؟ قال : اقرأنها رسول الله ﷺ فقلت : كذبت إن رسول الله ﷺ اقرأنها على غير ماقرأت ، فانطلقت به اقوده الى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة

الفرقان على حروف كثيرة لم تقرأنيها فقال : أرسله اقرأ
 ياهشام فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ :
 هكذا انزلت ، ثم قال اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي اقرأني
 فقال رسول الله : هكذا انزلت ، ان هذا القرآن انزل على سبعة
 احرف فاقرأوا ما تيسر منه ، وروى البخاري في صحيحه ان
 رسول الله ﷺ قال : اقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم
 ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف .

وانما انزل القرآن على هذه الاحرف تيسيراً على الامة لاختلاف
 لهجاتها كأن يكون الحرف المرموز له بألف (أ) تيسيراً على
 اهل الشمال من قضاة وجاراتها ، والحرف (ب) مثلاً تيسيراً
 على هوازن ، و (ج) تيسيراً على تميم وهلم جرا في بقية الحروف ،
 إلا ان هذا لغة قضاة أو ذاك لغة هوازن أو الآخر لغة
 التميميين . ووضح مثال لذلك هذه العربية التي تتعلمها وتتكلم
 بها اليوم فانما هي حرف او نخبة من لغات الجزيرة العربية كلها
 لا يختص بقريش ولا كنانة ولا تميم ولا هذيل ، فالحرف في
 القراءات قراءة او لغة على هذا المثال .

هذه الاحرف يعرفها النبي ﷺ فيقريء كل قاريء ما يناسبه منها وما يقدر عليه ، فمنهم من يقرئه على حرف واحد ، ومنهم من يقرأ على حرفين ، ومنهم من يستطيع ان يتلقى جميع الحروف كزيد بن ثابت رضي الله عنه (١)

ولا شك في ان من نظر الى ذلك كله وعرف ان النبي كان يخاطب جميع قبائل العرب وفيهم الشيخ الفاني والغلام والخادم وضعيف الادراك وسيء الحفظ ومعلمم اللسان وانه كان يعلمهم جميعاً القرآن ولم يرتب في انه لا بأس من تعليم كل قوم بلغتهم ولا داعي لتكليفهم بمشقة الانتقال عنها بل يرى ذلك من الحكمة تسهيلاً عليهم واستمالة لنفوسهم الالية وتوسيعاً لطريق الدين في وجه من يريد الدخول فيه . غاية الامر انه يلزم ان لا يكل ذلك لاختيارهم لئلا يختلف التعبير عنه باختلاف الافهام أو تلاعب الاوهام وليس يليق بفعل الله وهو احكم الحاكمين ان يكلف العرب ان يتعلموا لغة قريش مثلاً ثم يجيئوا للنبي بعد ذلك ليأخذوا عنه القرآن (٢)

(١) الهداية الاسلامية . (٢) الجواب المنيف للدجوي

واللغات التي نزل بها القرآن غير لغة قريش هي : لغة بني
سعد ، وثقيف ، وخزاعة ، وهذيل ، وكنانة ، وأسد ،
وضبة ، ثم قيس وكنافها وهم يسكنون وسط الجزيرة .



اختلاف القراءات

قال ابن الجزري : تتبعت صحيح القراءة وشاذها وضعيفها
ومنكرها فاذا هي يرجع اختلافها الى سبعة اوجه لا يخرج
عنها وذلك :

١ — اما في الحركات بلا تغير بالمعنى والصورة نحو :

البخل باربعة ، ويحسب بوجهين

٢ — او بتغيير في المعنى فقط نحو : فتلقى آدم من ربه

كلمات .

٣ — واما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو :

تبلو وتتلو .

٤ — او بالعكس نحو : بصطة ، وبسطة ، والصراط

والسراط .

٥ — او بتغييرها نحو : أشد منكم ومنهم ، ويأتل ويتأل

٦ — واما في التقديم والتأخير نحو : فيقتلون ويقتلون

٧ — او في الزيادة والنقصان نحو : اوصى ووصى

قال : وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشمام فهذا ليس في الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ والمعنى لان هذه الصفات الممنوعة في ادائه لا تخرج عن أن يكون لفظه واحداً .

وقال ابن قتيبة بصدد هذه الاحرف السبعة : (١) ما تتغير حر كته ولا يزول معناه ولا صورته نحو (ولا يضار كاتب) بفتح الراء وضمها . (٢) ما يتغير فيه الفعل مثل : بعد وبعده بلفظ الماضي والطلب . (٣) ما يتغير بالنقط مثل : نشرها ، وننشزها . (٤) ما يتغير بابدال حرف قريب المخرج مثل : طلع وطلع . (٥) ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل : وجاءت سكرة الموت بالحق ، وسكرة الحق بالموت (٦) ما يتغير بزيادة وتقصان مثل : والذكر والانى ، وخلق الذكر والانى . (٧) ما يتغير بابدال كة باخرى مثل : كالعين المنقوش ، وكالعين المنفوش .

قال الاستاذ العلامة محمد الخضر حسين في كتابه (نقض

كتاب في الشعر الجاهلي) واختلاف القراءات على نوعين :
(اولهما) اختلاف القرائتين في اللفظ مع اتفاهما في المعنى

ومن هذا النوع ما يرجع الى اختلاف اللغات ، كقراءتي « اهدنا الصراط » بالصاد ، او « اهدنا السراط » بالسين ، الى ما يشاكل هذا من نحو الاظهار والادغام والمد والقصر او تحقيق الهمز وتخفيفه ، والحكمة في هذا تيسير تلاوته على ذوي لغات مختلفة « فلو اراد كل فريق من هؤلاء ان يزول عن افئته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً ، أشد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ، ثم لم يمكنه ذلك الا بعد رياضة للنفس طويلاً وتذليل للبيان وقطع للعادة ، فاراد الله عز وجل بلطفه ورحمته ان يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات » (١)

ومن هذا النوع مالا يختلف فيه اللغات وانما هما وجهان او هي وجوه تجرى في الفصحى من الكلام نحو (وما عملت ايديهم) و (ما عملته ايديهم) وهذا النوع وارد على سنة العرب من صرف عنايتها الى المعاني ونظرها الى الالفاظ نظر الوسائل فلا ترى بأساً في ايراد اللفظ على وجهين او وجوه

(١) مشكل القرآن لابن قتيبة

ما دام المعنى الذي يقصد بالخطاب باقياً في نظمه ومأخوذاً من جميع اطرافه ، وفي هذا توسعة على القاريء وعدم قصره على حرف ولا سيما حيث كان محجوزاً عليه ان يغير الكلمة من القرآن ويحيد بها عن وجهها المسموع .

(ثانيهما) اختلاف في اللفظ والمعنى مع صحة المعنيين كليهما وحكم هذا ان تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لافادة المعنيين جميعاً ، كاختلاف قراءتي « مالك يوم الدين » بالالف و « مالك يوم الدين » بغير الف ، فقد افادت احدي القراءتين ان الله مالك يوم الدين يتصرف فيه كيف يشاء ، وافادت الاخرى انه ملكه الذي يحكم فيه بما يريد .

اما اختلاف اللفظ مع تضاد المعنيين فهذا لا اثر له في القرآن . قال ابو محمد بن قتيبة في مشكل القرآن : الاختلاف نوعان ، اختلاف تغاير واختلاف تضاد ، فاختلف التضاد لا يجوز ، ولست واجده بحمد الله في شيء من كتاب الله . واختلاف التغاير جائز . ثم ضرب لهذا النوع من الاختلاف امثلة من الآيات ، واتى في بيان جوازه على ناحية ان كلا من

المعنيين صحيح ، وان كل قراءة بمنزلة آية مستقلة ، ولا جرم ان يكون هذا الاختلاف فناً من فنون الایجاز الذي سلكه القرآن في ارشاده وتعليمه .

وقال الأشموني في كتابه منار الهدى : ولا شك ان القبائل كانت ترد على النبي ﷺ وكان يترجم لكل أحد بحسب لغته فكان يمد قدر الالف والفين والثلاثة لمن لغته كذلك ، وكان يفخم لمن لغته كذلك ، ويرقق لمن لغته كذلك ، ويميل لمن لغته كذلك ، واما ما يفعله قراء زماننا من ان القاريء كل آية يجمع ما فيها من اللغات ، فلم يبلغنا وقوعه عن رسول الله ﷺ ولا عن اصحابه قاله الشعراني في الدرر المنثورة في بيان فريدة العلوم المشهورة .

وان اول من اقتصر على جمع قراءة السبعة المشهورة اثناء المائة الرابعة احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد .

واختلاف القراء اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فان هذا محال ان يكون في كلام الله تعالى .
وقال الطحاوي : انما كانت السبعة للناس في الحروف

لمعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم لانهم كانوا اميين لا يكتب الا القليل منهم فاما كان يشق على كل ذي لغة ان يتحول الى غيرها من اللغات ولو رام ذلك لم يتهيأ له الا بمشقة عظيمة فوسع لهم في اختلاف الالفاظ اذ كان المعنى متفقاً ، فسكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم الى لسان رسول الله ﷺ ، فقدروا بذلك على تحفظ الفاظه فلم يسعهم حينئذ ان يقرأوا بخلافها . قال ابن عبد البر : فبان بهذا ان تلك السبعة الاحرف انما كان في وقت خاص لضرورة دعت الى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الاحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد

قال ابن الحاجب في مختصره : القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الاداء كالمدة والامالة وتخفيف الهمز ونحوها . ولو لم تكن لكان بعض القرآن غير موافقاً كملك ومالك ونحوها وتخصص احدهما بحكم باطل لاستوائها .

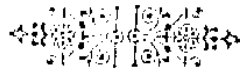
وقال صاحب التقرير والتحبير : قراءة السبعة ما كان منها من قبيل الاداء بان كان هيئة للفظ يتحقق بدونها ولا تختلف

خطوط المصاحف به كالحركات والادغام في المثلين والمتقاربين وهو ادراج الاول منها ساكناً في الثاني ، والاشمام ، والروم والتفخيم ، والامالة ، والقصر ، وتخفيف الهمزة ، واضدادها من الفك وعدم الادغام ، وعدم الروم ، والترقيق ، وعدم الامالة ، والمد وتخفيف الهمز - لا يجب تواترها ، وخلاف ما كان من قبيل الاداء مما اختلف بالحروف (كملك) المنسوب قراءته الى من عدا الكسائي وعاصم (ومالك) المنسوب قراءته اليها ، ويسمى بقبيل جوهر اللفظ متواتر . ثم قال : وقد نظر العلامة الشيرازي في كون ما من قبيل الاداء كالحركات لا يجب تواتره بخلاف ما كان منه ، لأن الحركات وما معها ايضاً قرآن .

لنا في ان ما من قبيل الأداء ، انه قرآن فوجب تواتره ، ضرورة أن جميع القرآن متواتر اجماعاً لكون العادة قاضية به . قال المخالف : هذه القراءات آحاد لأنها منسوبة الى سبعة نفر ، والتواتر لا يحصل بهذا العدد فيما اتفقوا عليه فضلاً عما اختلفوا فيه . أجيب بان نسبة القراءات السبع اليهم

{ ١٢٣ }

لا اختصاصهم بالتصدي للاشتغال بها واشتهارهم بذلك ، لا لأنهم
النقلة لها خاصة ، بمعنى أن روايتهم مقصورة عليهم ، بل عدد
التواتر موجود معهم في كل طبقة الى ان يذهي الى النبي
صلى الله عليه وسلم . اهـ



القراءة

علمنا مما تقدم ان القرآن الكريم قد نزل على سبعة
احرف ، وان تلك الاحرف قد اخذها الصحابة الكرام عن
النبي ﷺ فحصل بذلك بعض الاختلاف في كيفية الحروف
وادائها وبعض الكلمات واعرابها ، وقد تناقل المسلمون ذلك
باسناد صحيح وتواتر ذلك الاسناد الى ان استقر في القراء
السبعة المشهورين وسميت قراءاتهم بالقراءات السبعة ، وتوجد
ثلاث قراءات اخرى آحادية واربعة شاذة فيكون المجموع
اربعة عشر قراءة . قال ابن قتيبة وابن الجزري وابو الفضل
الرازي : ان الاحرف السبعة هي الالوجه التي يقع بها
الاختلاف في القراءة مثل الحركات وابدال حرف بآخر
قريب المخرج منه وتقديم وتأخير .

وقال ابن ابي هاشم : ان السبب في اختلاف القراءات
السبع وغيرها ان الجهات التي وجهت اليها المصاحف كان بها
من الصحابة من حمل عنه اهل تلك الجهة ، وكانت المصاحف

خالية من النقط والشكل ، قال فثبت اهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة بشرط موافقة الخط وتركوا ما يخالف الخط امثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن ، فمن نشأ الاختلاف بين قراء الامصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد من السبعة . وقد ذكر تفصيل ذلك في البحث السابق فلا تطيل الكلام فيه الآن بل نكتفي بذكر مختصر عن تراجم القراء السبعة ورواتهم ، واليك ذلك :

١ - ابو عبدالله نافع بن عبدالرحمن بن ابي نعيم الليثي المدني ، احد القراء السبعة ، ثقة صالح ، اصله من اصبهان ، وكان اسود اللون صبيح الوجه حسن الخلق فيه دعاة . أخذ القراءة عن سبعين شيخاً من التابعين ، وروى عنه القراء عرضاً وسماعاً ، وانتهت اليه رئاسة القراءة بالمدينة بعد التابعين . وتوفي بالمدينة سنة ١٦٩ هـ

وأشهر رواته اثنان :

أ - عثمان بن سعيد المصري الملقب بـ (ورش) شيخ

القراء المحققين ، وامام اهل الاداء المرتلين ، انتهت اليه رئاسة القراء بالديار المصرية في زمانه ، ولد سنة ١١٠ بمصر ، وقد رحل الى نافع وعرض عليه القرآن عدة مرات ، وقد لقبه نافع بالورشان لأنه كان على قصره يلبس ثياباً قصاراً وكان إذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف الوانه - والورشان طائر معروف - ثم خفف فقييل ورش ولزمه ذلك حتى صار لا يعرف إلا به ، ولم يكن فيما قيل أحب اليه منه ، فيقول : استاذي سماني به . وتوفي بمصر سنة ١٩٧ عن سبع وثمانين سنة

ب - عيسى بن مينا مولى بني زهرة الملقب بـ (قالون) ربيب نافع وقارئ المدينة ونحوها وقد سماه نافع بقالون لجودة قراءته فان قالون بلغة الرومية جيد . ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ٢٢٠ عن عمر يناهز المائة .

٢ - عبدالله بن كثير المكي الداري امام اهل مكة في القراءة . ولد بمكة سنة ٤٥ وقد أدرك قسماً من الصحابة الكرام وأخذ عنهم وبقي الامام المجمع عليه في القراءة بمكة الى أن توفي سنة ١٢٠ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين .

وأشهر رواته اثنان :

أ — محمد بن عبد الرحمن المخزومي المكي الملقب بقنبل المولود سنة ١٩٥ وقد سمي بقنبل لاستعماله دواء يقال له قنديل لداء كان به فلما أكثر منه عرف به وحذفت الياء تخفيفاً وقد انتهت اليه رئاسة الاقراء بالحجاز ورحل الناس اليه من الاقطار ، ثم انه طعن في السن وشاخ وقطع الاقراء قبل موته بسبع سنين ، وقد توفي سنة ٢٩١ عن ست وتسعين سنة

ب — احمد بن محمد البري — والبرزة الشدة — المكي مقريء مكة ومؤذن المسجد الحرام . ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢٥٠ عن عمر يقارب الثمانين .

٣ — ابو عمرو زيان بن العلاء التميمي المازني البصري . ولد سنة ٦٨ ثم توجه مع ابيه الى مكة والمدينة فقرأ على مشايخها ثم قرأ بالبصرة والكوفة ، وهو اكثر القراء شيوخاً ، وكان اعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد . وقد توفي بالكوفة سنة ١٥٥ عن عمر يقارب التسعين .

وأشهر رواته اثنان :

أ — أبو عمر حفص بن عمر بن عبدالعزیز بن صہبان
الدوري الأزدي البغدادي الضرير نزيل سامراء امام القراء
وشیخ الناس في زمانه ، وهو اول من جمع القراءات . رحل
في طلب القراءات وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ وسمع
من ذلك شيئاً كثيراً . توفي سنة ٢٤٦ .

ب — أبو شعيب صالح بن زياد السوسي الرقي وقد كان
مقرئاً ضابطاً محرراً ثقة ، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً ، توفي
سنة ٢٦١ عن عمر يقارب السبعين .

٤ — أبو عمران عبدالله بن عامر اليحصبي الحميري امام
اهل الشام في القراءة والذي انتهت اليه مشيخة الاقراء بها ،
أخذ القراءة عن بعض كبار الصحابة ، كان عالماً ثقة فيما أتاه ،
حافظاً لما رواه ، عارفاً فاهماً من افاضل المسلمين وخيار التابعين
وأجلة الراويين . ولد سنة ٨ من الهجرة في البلقاء بضيعة يقال
لها (رحاب) ، وقبض رسول الله ﷺ وله من العمر
سنتان ، وبعد فتح دمشق ذهب اليها وتوفي فيها سنة ١١٨ .

وأشهر رواته اثنان :

أ — أبو الوليد هشام بن عمار السامي الدمشقي امام اهل دمشق وخطيبهم ومقرؤهم ومحدثهم ومفتيهم . ولد سنة ١٥٣ ، وكان فصيحاً واسع العلم والرواية والدراية ، رزق كبر السن وصحة العقل والرأي فارتحل الناس اليه في القراءات والحديث توفي سنة ٢٤٥

ب — ابو عمر عبدالله بن احمد بن بشر بن ذكوان القرشي الفهري الدمشقي الامام الراوي الثقة شيخ الاقراء بالشام وامام جامع دمشق لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمانه اقرأ منه ، ولد سنة ١٧٣ وتوفي سنة ٢٤٢

٥ — ابو بكر عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي الكوفي ، شيخ الاقراء بالكوفة واحد القراء السبعة ، جمع بين الفصاحة والاتقان والتحرير والتجويد ، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن توفي سنة ١٢٧ بالكوفة وأشهر رواة اثنان :

أ — حفص بن سليمان الأسدي الكوفي ربيب عاصم وابن

(١٣٠)

زوجته وأعلم الناس بقراءته ، وقد اقرأ الناس دهرأ ، ولد سنة
٩٠ وتوفي سنة ١٨٠

وان المصاحف التي بين ايدينا الآن هي بحسب رواية
حفص هذا لقراءة عاصم عن عبدالله بن حبيب السامي عن علي
بن ابي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابي بن كعب
رضي الله عنهم اجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ب - ابو بكر شعبة بن عياش الاسدي الكوفي ، وكان
اماماً كبيراً عالماً عاملاً ، وكان من أئمة السنة ، وعمر دهرأ إلا
انه قطع الاقراء قبل موته بسبع سنين ، وتوفي سنة ١٩٣ وقد
ناهز المائة .

٦ - ابو عمارة حمزة بن حبيب الكوفي التيمي أحد
القراء السبعة ولد سنة ٨٠ واليه صارت الامامة في القراءة بعد
عاصم والاعمش ، وكان اماماً حجة ثقة ثبتاً بصيراً بالفرائض
عارفاً بالعربية حافظاً للحديث عابداً زاهداً توفي سنة ١٥٧
بحلوان (قصر شيرين)

واشهر رواه اثنان :

أ — خـلاد بن خالد الشيباني الكوفي الصيرفي امام في
القراءة ثقة عارف محقق وهو ضابط توفي سنة ٢٢٠

ب — ابو محمد خلف بن هشام البزار البغدادي الاسدي
احد القراء العشرة ولد سنة ١٥٠ وكان ثقة كبيراً زاهداً
عابداً عالماً توفي سنة ٢٢٩ ببغداد وهو مختلف من الجهمية .

٧ — علي بن حمزة الكسائي النحوي الامام الذي انتهت
اليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، وكان الكسائي
يتخير القراءات فاخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً
وكانت القراءة علمه وصناعته . وقال ابن الانباري : اجتمعت
في الكسائي امور : كان اعلم الناس بالنحو واوحدهم في
الغريب وكان اوحد الناس في القرآن فيكانوا يكثرون عليه
حتى لا يضبط الاخذ عليهم فيجمعهم ويجلس على كرسي
ويتلو القرآن من اوله الى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه
حتى التقاطع والمباديء توفي سنة ١٨٩ بمدينة طرس
وأشهر رواته اثنان :

أ — حفص بن عمر الدوري الذي تقدم الكلام عنه
ب — ابو الحارث الليث بن خالد البغدادي أحد الحدائق
الماهرين في ضبط القراءات توفي سنة ٢٤٠

التطريب في التلاوة واسلوب القرآن المرافق لذلك

ذكر ا كثرية العلماء ان رفع الصوت بقراءة القرآن والتطريب به مستحب ومنهم ابو حنيفة والشافعي رضى الله عنهما ، لأن القارئ اذا أحسن الصوت بالتلاوة كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب ، وما من احد يسمع قراءة المجودين اولى الأصوات الحسنة إلا ويشعر بتأثير عظيم وانسراح في صدره ، وخضوع وخشوع في قلبه ، وندم وتقريع لنفسه على ما فرط في جنب الله تعالى . وقد كان لتلاوة القرآن باصوات رخيمة تأثير عظيم لجذب العرب الى الاسلام ، وان اكثر الصحابة قد أسلموا لما سمعوا القرآن ، ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلقد أعلن اسلامه عند سماعه القرآن في دار شقيقته ، وإنا نقرأ ان كثيراً من غير المسلمين قد امتدحوا القرآن وإن لم يصدقوه لجمال وقعته في نفوسهم ، وحلاوة تلاوته في اسماعهم .

وقد كان المشركون يؤذون ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويمنعونه من الصلاة في الحرم المكي ، ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن في المسجد الذي بناه في فناء بيته لما رأوا من اقبال الناس رجالاً ونساءً على سماع ما يقرأ ، لتأثير قراءته في النفوس . لأن لغات القرآن تنتقل الى حواس السامع الباطنية حتى تسيطر عليها وتقودها مرغمة الى الاصفاء والانصات ، ولقد بلغ من سيطرة لغات القرآن على الحواس الباطنية انه يكفي ان تقال آية فيها خطأ امام شخص لا يحفظ القرآن ولكن له الملم يسير ببعض سورته لكي يدرك ان في هذه الآية لفظاً قلقاً وان من الخير مراجعة المصحف . وروى البيهقي عن يحيى بن اكرم قال : دخل يهودي على المأمون فاحسن الكلام فدعاه الى الاسلام فأبى ، ثم بعد سنة جاء مسلماً فتكلم في النقة فاحسن الكلام ، فسأله المأمون ما سبب اسلامه ، قال : انصرفت من عندك فامتحننت هذه الأديان ، فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها على البيعة فاشتريت مني ، وعمدت الى الانجيل

فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها البيعة
فاشتريت مني ، وعمدت الى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت
فيها ونقصت وادخلتها الى الوراقين فتصفحوها فوجدوا فيها
الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها ، فعامت ان هذا
الكتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي

قال جبير بن مطعم سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في
المغرب بالطور فما سمعت احداً أحسن صوتاً أو قراءة منه
ونلت فؤادي قد انصدع ، وكان جبير إذ ذاك مشركاً فأثرت
فيه قراءته ﷺ فأعلن اسلامه . وقد قال عليه الصلاة
والسلام : « زينوا القرآن باصواتكم » وقال : ليس منا من لم
يتغن بالقرآن » وقال : « لله اشد آذانا الى الرجل الحسن
الصوت من صاحب القينة الى قينته » وعن عائشة زوج النبي
رضي الله عنها انها قالت : ابطأت على رسول الله ﷺ ليلة
بعد العشاء ثم جئت فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أسمع
قراءة رجل من اصحابك لم اسمع مثل قراءته وصوته من
احد ، قالت : فقام فقامت معه حتى أستمع له ، ثم التفت الي

فقال : هذا سالم مولى ابي حذيفة : الحمد لله الذي جعل في امتي مثل هذا .

وكان ابو موسى الأشعري رضي الله عنه يقرأ يوماً القرآن ، فمر به رسول الله ﷺ ، ثم رآه عليه الصلاة والسلام في اليوم الثاني فقال له : يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة ، لقد اوتيت مزماراً من مزامير آل داود ، فقال أبو موسى : اما والله لو عامت انك تسمع قراءتي لحبستها لك تحبيراً . وان مزامير داود أنزلت لأجل الترنم بها ، وكانت الطير تحشر وتجمع لصوته وترجع ترنيمه . ولقد كانت القراءة في صدر الاسلام اما تحقيقاً ^(١) أو حدرأً أو تدويراً . فلما كانت المائة الثانية كان من قرأ بالتلحين والتطنين عبيدالله ابن ابي بكرة وكانت قراءته حزناً ليست على شيء من الحان الغناء والحدا ، فورث ذلك عنه حفيده عبدالله بن عمر بن عبيد الله ، فهو الذي يقال له قراءة ابن عمر

(١) التحقيق : اعطاء كل حرف حقه على مقتضى ما قرره العلماء مع ترتيل وتوأدة . والحدر : ادراج القراءة وسرعتها مع مراعاة شروط الاداء الصحيحة . والتدوير : التوسط بين التحقيق والحدر .

وأخذها عنه الأبازي ، ثم أخذها سعيد بن العلاف و إخوه
عن الأبازي وصار سعيد رأس هذه القراءة في زمنه ، وعرفت
به ، لأنه اتصل بالرشيد فأعجب بقراءته وكان يحظيه ويمطيه
حتى عرف بين الناس بقارئ أمير المؤمنين^(١)

قال الحافظ ابن حجر في شرحه للبخاري ما ملخصه :
ولا شك في أن النفوس تميل الى سماع القرآن بالترنم اكثر
من ميلها لمن لا يترنم ، لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب
واجراء الدمع ، وكان بين السلف اختلاف في جواز تلاوة
القرآن بالالخان ، اما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على
غيره فلا نزاع في ذلك ، وقد نص الشافعي في المختصر على
جواز القراءة بالالخان ، وعن رواية الربيع الجيزي انها
مكروهة . وقد قال الرافعي في هذين القولين إن المكروه أن
يفرط في المد وفي اشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة الف
ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء ، أو يدغم في غير موضع
الادغام ، فان لم ينته الى هذا الحد فلا كراهة . وقال النووي :

(١) اعجاز القرآن للرافعي

ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والاصغاء اليه .
ويجب أن تراعى في القراءة قوانين التجويد فان حسن
الصوت يزداد حسناً بذلك ، وإن خرج عنها أثر ذلك في
حسنه ، وغير الحسن ربما اضطر الى مراعاتها .
ويجب أن يراعى القارئ الاداء اولاً ، وأن لا يخل به ،
ومن راعى الانغام دون الأداء فقد اثم ، من راعاها معاً
فلا شك انه من المصلحين .

ولقد جاء اسلوب القرآن الكريم مخالفاً كل المخالفة
لأساليب العرب في شعرها ونثرها ، وتركب من آيات تنتهي
في الكثير الغالب بحرف صحيح يسبقه حرف علة ساكن
كقوله تعالى « ن . والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك
بمجنون » . « الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . نامه البيان »
« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المرسلين .
بلسان عربي مبين » ففي هذه الأمثلة تجد الآيات منتهية بحرف
صحيح تسبقه واو في الطائفة الاولى ، والفاء في الثانية ، وياء في
الثالثة ، وتجد لكل نوع من ثلاثها صوتاً يحلو في السمع ،

وترتاح له النفس ، وتتقبله الروح قبول حسن .
 ويستعمل القرآن في كل موطن من المواطن طائفة خاصة
 من الحروف المتحددة المخرج ، كاستعمال حروف الاطباق
 والقلقة في سورة « ق » فتجد فيها حروف القاف والطاء
 والجيم مترددة من اول السورة الى آخرها كما تصنع مع
 حروف اخرى ثوباً منسوجاً من فتلات خاصة . قال تعالى :
 « ق . والقرآن المجيد بل عجيبوا ان جاءهم منذر منهم فقال
 الكافرون هذا شيء عجيب » الخ ..

ومن ذلك ايضاً تردد الحرف الواحد مرات كثيرة في
 الآية الواحدة حتى يلام نسجها ولا تنبو كلماتها ، وحتى لا
 يقع في الكلام تنافر ، كتردد حرف اللام ٢٢ مرة في آية
 الكرسي ، وتردد الهاء في نفس الآية نحو ١٣ مرة ، وكردد
 حرف الراء في سورة القمر ، والنون في سورة الرحمن وهكذا ،
 فاذا أخرجت الحروف المتحددة الأجناس من مقاطعها متوافقة
 في الصفات ، متحدة الأقدار في مقاييس حركاتها ومداتها
 بحيث تكون أجناس الحروف التي لها التفخيم مفخمة ، والتي

لها الشدة شديدة ، والتي لها الهمس مهموسة ، والتي لها الرخاوة رخوة ، وهكذا ، ويكون مقدار النطق بالحرف الذي لم يجاوره حرف المد نصف الف . ومقدار النطق بالحروف التي جاورتها حروف المد ولم تتصل بها الهمزة ولم يليها السكون حركتين ، ومقدار المدود التي زادت عن طبيعتها بسبب الهمز والسكون أزيد من حركتين ، فتتمد الى الف ونصف والى الفين ونصف والى ثلاث الفات ، وطول المدات وقصرها يختلف باختلاف وجوه المد وانواعه ، واقصى المد ثلاث الفات . والقراءة بالمرانة .

ولا شك في ان القراء تختلف قراءتهم باختلاف اصواتهم ، وتتفاوت تلاوتهم بتفاوتهم في حسن الاداء والمهارة بالقراءة ، وجودة التلاوة ، وقوة الحفظ ، فبعضهم أندى من بعض صوتاً ، وأمد قراءة ، وأجود ترتيلاً ، وأزين وأعلى في السمع جرساً ونغمة . فبعضهم يقصر في كل ذلك أو في بعضه عن مرتبة الحذاق المهرة في القراءة ، والميزان الذي توزن به اقدار القراء وتقاس به درجة التفاضل فيما بينهم : ينحصر فيما اوتي

القارئ من قوة في نبرات الصوت وجهارته ، وامتداد النفس مع جودة النطق بالحروف واخراجها من مخارجها الحقيقية ، واعطائها ما تستحقه من صفات وهيئات فنية يعرفها الخذاق بفن التجويد ، ويضاف الى ذلك ما أوتيته القارئ من مزجية التعبير عن المعنى تعبيراً صادقاً بالوقف عند النهايات ، والابتداء حيث تحسن البدايات ، مع تكييف الصوت بكيفيات لطيفة دقيقة تشعر السامع بالمعنى ، وتقذفه في نفسه قذفاً ، وتصله بحلاوة الصوت من صياح الاذن الى شغاف القلب ، بشرط الا تخرج به تلك الكيفيات الصوتية عن القواعد التجويدية الى محض الكيفيات الغنائية او التمثيلية (١)

وليس يخفى ان مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وان هذا الانفعال بطبيعته انما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرج فيه مدأ أو غنة أو ليناً أو شدة ، ربما يهيء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من اصولها ، ثم هو يجعل الصوت الى الایجاز والاجتماع والاطناب والبسط بمقدار ما يكسبه من الحدة

والاهتزاز وبعد المدى ونحوها مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى .

فلو اعتبرنا ذلك في تلاوة القرآن على الأداء الصحيحة لرأيناه ابلغ ما تبلغ اليه اللغات كلها في هن الشعور واستثارته من اعماق النفس ، وهو من هذه الجهة يغلب بنظمه على كل طبع عربي حتى ان القاسية قلوبهم من اهل الزيغ والاحاد ومن لا يعرفون لله آية في الآفاق ولا في أنفسهم لتلين قلوبهم وتهتز عند سماعه لأن فيهم طبيعة انسانية ولأن تتابع الاصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الانسان فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان ، وعلى هذا وحده يؤول الأثر الوارد في أن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً لأنه يجذب هذا الكمال اللغوي ما يعد نقصاً منه اذا لم تجتمع اسباب الأداء في اصوات الحروف ومخارجها ، وانما التمام الجامع لهذه الاسباب صفاء الصوت ، وتنوع طبقتة واستقامة وزنه على كل حرف^(١)

(١) اعجاز القرآن للرافعي

آداب التلاوة والاستماع

ان على التالي للقرآن الكريم وجائب كثيرة يلزمه مراعاتها والأخذ بها والتأدب بها لأنه بتلاوته لكلام الله انما يناجي مولاه الذي أنعم عليه بنعمة الايمان ، واجابة الدعوى الحقة ، كما أنه يتلقى اوامر الله ونواهيه ، ووعدده ووعدده ، لذلك ذكر العلماء رحمهم الله تعالى آداباً كثيرة يلزم مراعاتها عند التلاوة نجزىء بذكر جزء منها :

يستحب الوضوء لقراءة القرآن حفظاً لأنه من أفضل الاذكار ، وقد كان النبي ﷺ يكره ان يذكر الله تعالى الا على طهر ، ويفترض عليه الوضوء اذا كانت التلاوة بالمصحف لقوله عليه الصلاة والسلام في كتاب عمرو بن حزم : لا يمسه القرآن الا طاهر . وان يستاك تعظيماً وتطهيراً لقوله ﷺ : نظفوا افواهكم فانها مجاري القرآن . وان يجلس القارئ مستقبلًا للقبلة متخشعاً بسكينة ووقار ، مطرقاً رأسه ، وان يستوي قاعداً إن كان في غير صلاة ، ولا يكون متكئاً ، وأن تكون القراءة في مكان نظيف ، بثياب حسنة نظيفة ، لأنه مناج

ربه ، والأفضل في المسجد ، وأن لا يقرأ في الأسواق ، ولا في مواطن اللفظ واللاهو وجمع السفهاء ، وكذلك في الحمام والمواضع القذرة .

ويحسن التعوذ قبل القراءة لكي يكون السامع على علم من ذلك فينصت من أول القراءة ، كما أنه يستطيع سماع القراءة كلها ، وإذا أخفى التعوذ ولم يعلم السامع نفوته شيء من المقروء .

ويسن الترتيل في قراءة القرآن ، والتأني في القراءة ، ويكره الإسراع فيها . قال في شرح المهذب : واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع ، كما اتفقوا على استحباب الترتيل للتدبر لأنه أقرب إلى الاجلال والتوقير وأشد تأثيراً في القلوب . وقد قال عليه الصلاة والسلام « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به » وقال « لله أشد أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » « وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن »

وقد نعتت سامة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ

بانها كانت مفسرة حرفاً حرفاً . وقال ابن عباس رضي الله
عنهما : لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرها أحب
الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة . لأن الترتيل والتوادة
أقرب الي التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من
الهذرمة والاستعجال .

وأن يؤدي القارئ لكل حرف حقه من الاداء ، حتى
يرز الكلام باللفظ تماماً ، وأن يؤدي للآيات حقه ، فاذا قرأ
تهديداً لفظ به لفظ التهديد ، أو تعظيماً لفظ به على التعظيم
وأن تكون القراءة بالتدبر والتفهم إذ بذلك تشرح الصدور
وتتأثر القلوب ، وان تكون القراءة بالتفخيم لقوله عليه الصلاة
والسلام : نزل القرآن بالتفخيم . وأن يقرأ على قراءة الرجال لا
أن يغير صوته بحيث يكون كصوت النساء ، وأن لا يجهر بعض
على بعض في القراءة فيفسد على السامع حتى يبغض اليه ما سمع
ويكون كهيئة المغالبة .

ويكره قطع القرآن لكلمة أحد لأن كلام الله تعالى
ينبغي الا يؤثر عليه كلام غيره ، لأن فيه استخفافاً بالقرآن ،
ولأن اتباع القرآن بعضه بعضاً بالقراءة من البهجة ما يظهر

عند الاتباع ويخفى عند التقطيع ، كما يكره الضحك والعبث والنظر الى ما يلهي . وقال مجاهد : إذ تشاءت وأنت تقرأ القرآن فامسك عن القرآن تعظيماً حتى يذهب ثأؤبك .

ويجب على السامع عند سماعه تلاوة القرآن المجيد أن يقبل عليه اقبال الخاشع ، والاستماع له استماع الوجل الخائف ، مع تدبر معانيه ، وتفهم حكمه واسراره ، وليستشعر الأدب مع الله عند سماع كلامه ، وليتلق الآيات بوقار وخشية ووجل ولا سيما آيات الوعيد والتهديد والتخويف . قال الله تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » . وأن ينصت لسماعه ولا يتكلم بشيء الى ان يفرغ التالي من تلاوته لقوله تعالى « واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون »

ويجب على كل مسلم أن يحرص على استماع القرآن عند قراءته كما يحرص على تلاوته ، وأن يتأدب في مجلس التلاوة .

النسخ

يطلق النسخ في اللغة على ازالة الشيء ومحوه كقولهم نسخت الشمس الظل أي ازالته ، ويطلق ايضاً على النقل والتحويل كقولك نسخت النحل اذا نقلتها من خلية الى أخرى وفي اصطلاح الاصوليين هو : رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه ، وعلى هذا فليس من النسخ رفع الاباحه الاصلية ، ولا رفع الحكم بالموت والجنون ، ولا بيان الحكم بخطاب مقارن يفيد اخراج بعض ما تناوله الخطاب السابق بواسطة تقييده بنحو الشرط أو الغاية والاستثناء

والنسخ قال به عامة المسلمين وخاصتهم الا ابا مسلم محمد بن بحر الاصفهاني المفسر فانه مع قوله بجواز وقوعه عقلاً ينكر حصول شيء منه في القرآن الكريم .

والنسخ جائز عقلاً ، لان الله تعالى هو العليم بعباده ، الحكيم في اعماله ، فقد يضع حكماً ما ، ثم للحكمة والمصلحة حكماً آخر ينسخه ، وهو الأمر الناهي باختياره

وليس في العقل ما يمنع من ان يأمر بشيء في وقت وينهى عنه في وقت اذا تخلفت تلك الدواعي والاسباب وقامت دواع واسباب أخرى مقامها ، فتقدير الحكم الاول للمصلحة والنفع العام ، والعدول عنه بفرض النسخ انما هو للمصلحة والنفع العام ايضاً ، ومثل ذلك مثل المريض يكون تناول الدواء مفيداً له حين مرضه ، مضرأً له بعد شفاؤه ، وكالغذاء الذي يمنع الطبيب المريض عن تناوله عند مرضه ثم يحتم عليه تناوله بعد شفاؤه ، أو كالطفل يمنع في اول امره من تناول الطعام ثم يمطى الغذاء الخفيف حتى اذا شب زيد له في ذلك الى ان يتكامل .

ان الامم عرضة لأدوار شتى في التربية فقد يناسبها في وقت ما لا يناسبها في وقت آخر .

ان الاحكام الالهية والاحكام الوضعية سواء في قبولها النسخ وان يستبدل بواحد منها غيره طبقاً لمقتضيات شؤون الحياة والاجتماع ، واننا نرى المجالس التشريعية في جميع الامم لا تنفك عن تغيير وتعديل انظمتها وقوانينها بحسب حاجة الامة ومبلغ تقدمها ورقبها .

أما ثبوته شرعاً فادلت به كثيرة منها قوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج) فقد نسخت هذه الآية بقوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) ، فقد كان الواجب على المرأة التربص سنة إذا توفى عنها زوجها ووجوب الوصية لها بالنفقة والسكنى هذه المدة فنسخها الله تعالى بما هو أخف على المرأة إلى أربعة أشهر وعشراً .. ومنها قوله تعالى (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) الآية . فان هذه الآية تدل على وجوب ثبات الواحد من المسلمين للعشرة من الكفرة فنسخها الله تعالى بما هو أخف على الأمة الإسلامية بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) الآية . حيث اوجب صبر الواحد للثنتين .

ومن النسخ : نسخ التوجه في الصلاة لبيت المقدس بالتوجه للكعبة ، ونسخ وجوب صوم عاشوراء بوجوب صوم رمضان ، والوصية للوالدين والاقربين بأية الموارث .

أما حكمة النسخ فهي : ان الدين الاسلامي والتعاليم

المحمدية نزلت تدريجياً اترية قوم تأصلت في نفوسهم عادات
ومألوفات اعتقدوها سبيل المسكارم ووسائل المجد والفخار
والعزة حتى انهم ليثورون من اجل كلمة واحدة او دفع
منقصة ولو آل الامر للهلاك والدمار وبذل النفس والمال .
فشعب هذا شأنه وقد اختاره الله تعالى للقيام بنصرة نبيه
ونشر دينه ، ليس من الحكمة في شيء ان يساس قسراً ،
وان تنزع منه مألوفاته قهراً ، بل ينقل تدريجياً من حالة الى
حالة اخرى ، حتى اذا ركن للثانية انتقل الى درجة تليها .
وقد تدرج الشارع مع العرب الى ان اوصلهم الى الكمال
والسعادة قليلا قليلا من حيث يأمنون ولا ينفرون ، مراعيًا
ضعفهم العقلي ، محافظاً على نفوسهم التي تختلف مواهبها وتباين
مشاربها ولا تعرف غير الانفة والعظمة . ويتجلى هذا في
تحريم الخمر التي كان يتغنى بها شعراؤهم ويتحدث بها شجعانهم ؛
يرونها إمانرة الرجولة وعنوان الشهامة ، فجاءت الاحكام
والآيات تستلها من نفوسهم رويداً رويداً ، حتى استقر امرها
على المنع البات . قال تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل
فيهما اثم كبير ومنافع للناس واتمهما اكبر من نفعهما » ، ثم قال

تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » وبعد هذا التدرج والتفطن لما فيها من ضرر ومنافاة لمكانة العبد من ربه ، قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون »

وقد ثبت ان النسخ لم يقع في المشروعات الكلية من العقائد والاصول كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما يجب لله تعالى من تزيه عما لا يليق به . كما ان النسخ لم يقع في المقاصد العامة التي ترمي الشرائع الى حفظها كالضروريات والحاجيات والتحسينات . ولم يرد النسخ على الاخبار لانه يستلزم الكذب في خبر الشارع وهو محال . وقد اختلف العلماء في الآيات التي تناولها النسخ ، فقال بعضهم انها عشرون وقال البعض انها اقل من ذلك . وعلى كل فالنسخ في القرآن الكريم قليل .

اما السور القرآنية باعتبار الناسخ والمنسوخ فاربعة
اقسام :

١ - ليس فيه منسوخ ولا ناسخ وهو ثلاث واربعون
سورة : الفاتحة ، ويوسف ، ويسن ، والحجرات ، والرحمن ،
والحديد ، والصف ، والجمعة ، والتحریم ، والمملك ، والحاقة ،
ونوح ، والجن ، والمرسلات ، والنبأ ، والنازعات ، والانفطار
والمطففين ، والانشقاق ، والبروج ، والفجر ، والبلد ،
والشمس ، والليل ، والضحي ، والانشراح ، والقلم ، والقدر
والبينة ، والزلزلة ، والعديات ، والقارعة ، والتكاثر ، والهمزة
والفيل ، وقريش ، والماعون ، والكوثر ، والنصر ، وتبت ،
والاخلاص ، والفلق ، والناس .

٢ - فيه منسوخ وناسخ وهو خمس وعشرون سورة :
البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والانفال ، والتوبة
وابراهيم ، ومريم ، والانبياء ، والحج ، والنور ، والفرقان ،
والشعراء ، والاحزاب ، وسبأ ، والمؤمن ، والشورى ،
والذاريات ، والطور ، والواقعة ، والمجادلة ، والمزمل ، والمدثر
والتكوير ، والعصر .

٣ - فيه منسوخ فقط وهو اربعون سورة : الانعام
والاعراف ، ويونس ، وهود ، والرعد ، والحجر ، والنحل ،
والاسراء ، والكهف ، وطه ، والمؤمنون ، والنمل ، والقصص
والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وألم السجدة ، وفاطر ،
والصافات ، وص ، والزمر ، وحج السجدة (او فصلت) ،
والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والاحقاف ، ومحمد ، وق ،
والنجم ، والقمر ، والممتحنة ، ون ، والمعارج ، والقيامة ،
والدهر ، وعبس ، والطارق ، والغاشية ، والتين ، والكافرون .

٤ - فيه ناسخ فقط وهو ست سور : الفتح ، والحشر
والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والاعلى .

وذكر عن سبب بقاء الآيات التي نسخت احكامها في القرآن
بان القرآن يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به ويتلى ليكونه كلام
الله فيثاب عليه ، فتركت التلاوة لهذه الحكمة ، ولما كان النسخ
غالباً للتخفيف فقد ابقيت التلاوة تذكيراً للنعمة ورفع المشقة .

وقد وقع النسخ في التوراة والانجيل ، وذكر العلماء امثلة
كثيرة من ذلك نجتزئء هنا بذكر طرف منها :

قد كانت سارة زوجة ابراهيم عليه السلام أخته من ابيه
كما يفهم من الآية الثانية عشرة من سفر التكوين اذ يقول
فيها : (انها أختي بالحقيقة ابنة أبي وليست ابنة أُمي وقد
تزوجت بها) ومعلوم ان زواج الاخت في الشريعة الموسوية
حرام وفي منزلة الزنا والزواج ملعون وقتل الزوجين واجب كما
تدل عليه الآية التاسعة من الباب الثامن عشر من سفر الاخبار
وهي : (لا تكشف عورة اختك من ابيك كانت او من
امك التي ولدت في البيت او خارجاً من البيت) ويؤخذ لمن
المزوج باخته من الآية الثانية والعشرين من الباب السابع
والعشرين من كتاب الاستثناء اذ تقول « ملعون من يضاعف
اخته من ابيه وامه » فلو لم يكن الاقتران بالاخت جائزاً قبل
آيات التوراة هذا لما اتخذ ابراهيم اخته سارة حلاله ولو كان
داخلاً في جملة من لعنتهم آيات التوراة .

وان الشريعة الموسوية تبيح للرجل أن يطلق زوجته بكل
علة وان يتزوج بها رجل آخر بعد الخروج من بيت الاول كما
في الباب الرابع والعشرين من كتاب الاستثناء ، ولكن

لا يجوز الطلاق في شريعة عيسى عليه السلام إلا بعة الزنى ،
وكذا لا يجوز لآخر زواج المطلقة بل هو بمنزلة الزنى كما في
الباب الخامس والتاسع عشر من انجيل متى . وقد اعترض
الفريسيون على عيسى عليه السلام في هذه المسألة فاجابهم بقوله :
(ان موسى ما جوز لكم طلاق نساءكم إلا لتساوة قلوبكم
واما من قبل فانه لم يكن كذلك وانا أقول لكم ان كل من
طلق زوجته لغير علة الزنى وتزوج باخرى فقد زنى ومن
يتزوج بتلك المطلقة يزنى)

ومنها ان كثيراً من الحيوانات كانت محرمة إما جملتها
أو بعض أجزائها في شريعة موسى ثم جاء عيسى فاحلها ناسخاً
احكام التوراة فيها .

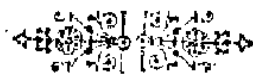
ومنها تعطيل الاعمال في السبت وقتل من يعمل فيه ، فقد
جاء في الباب الخامس عشر من سفر العدد قوله (ولما كان
بنو اسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يلقط حباً يوم السبت
فاقبلوا به الى موسى وهرون والجماعة كلها فلقوه في السجن
لانهم لم يكونوا يعرفون ما يجب ان يفعلوا به فقال الرب

لموسى فليقتل هذا الانسان ويرجه كل الشعب بالحجارة خارجا
من المحلة فاخرجوه ورجوه بالحجارة ومات كما أمر الرب .
وكان اليهود المعاصرون للمسيح عليه السلام يؤذونه ويريدون
قتله لاجل عدم تعظيم السبت كما جاء في الآية السادسة من
الباب الخامس من انجيل يوحنا : (ومن أجل ذلك طرد اليهود
عيسى وطلبوا قتله لانه قد فعل تلك الاشياء يوم السبت) . وقد
بين العهد القديم علة تقديس يوم عيد الفطير بقوله كما في الباب
الثالث والعشرين من سفر الاخبار : (بأني اخرج جيوشكم
من ارض مصر فاحفظوا هذا اليوم الى اجيالكم سنة الى الدهر)
ثم جاءت شريعة عيسى عليه السلام فنسخت جميع ذلك . قال
يشوب هارسلي في ذيل شرح آة الاعياد (زال سبب
كنيسة اليهود وماشى المسيحيون في عمل سبتهم على رسوم
طفولية الفريسيين)

ثم تأتي قضية الاختتان فقد اوجبه شريعة موسى وقد
ختن عيسى عليه السلام كما في الآية الحادية والعشرين من
الباب الثاني من انجيل لوقا وللمسيحيين الى اليوم صلاة معينة

يؤدونها في يوم ختان المسيح ، وانما نسخها الحواريون في
عهدهم كما في الباب الخامس عشر من اعمال الحواريين ،
وتشدد مقدسهم بولس في نسخ هذا الحكم واغرق حتى زعم
ان من اختن لا ينفعه المسيح كما في الباب الخامس من رسالته
الى اهل غلاطية على ان المسيحيين لم يكتبوا بان تنسخ شريعة
موسى بشريعة مثلها إلهية كشرعية عيسى بل ان الحواريين
انفسهم كانوا هم الذين ينسخون ما يشاؤون .

ومن هذا ان الحواريين بعد المشاورة نسخوا جميع
الاحكام العملية في التوراة إلا أربعة . ذبيحة الصنم والدم
والمخنوق والزنى فابقوا حرمتها كما في الباب الخامس عشر
من اعمال الحواريين ، ثم جاء بولس بعد ذلك فاحلها جميعاً
إلا الزنى .



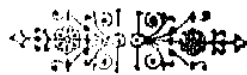
المحكم والمتشابه (١)

الاحكام في الاصل المنع والدفع ، ومادة حكم تفيد ذلك
ومنه حكم الحاكم لانه منع الظالم ، وحكمة اللجام
— بالتحريك — ما احاط بحنك الفرس من لجامه . واستعمل
الاحكام في الاتقان والتوثيق لان ذلك يمنع تطرق ما يضاعف
المقصود ، ولذا سميت الحكمة حكمة حقيقة او مجازاً مشهوراً .
واما المتشابه فاصله التماثل وهو ان يكون شيء مشابهاً لآخر
يشابهه هو ، لأن مشابهة كل منها الآخر توجب قوة الشبه
حتى تتعذر التفرقة قال تعالى « ان البقر تشابه علينا وانا ان
شاء الله لمهتدون »

وقد اختلف علماء الاسلام في تعيين المقصود من المحكم
والمتشابه هنا على اقوال مرجعها الى تعيين الوضوح والخفاء ،
فمن ابن عباس : ان المحكم ما لا تختلف فيه الشرائع ،
كتوحيد الله تعالى ، وتحريم الفواحش . وان المتشابه هو
المجملات التي لم تبين ، كحروف اوائل السور .

وللجمهور مذهبان احدهما : المحكم ما اتضحت دلالاته ،
والمتشابه ما استأثر الله بعلمه . وثانيهما ، ان المحكم الواضح
الدلالة ، والمتشابه خفيهما . فالنص والظاهر هما : المحكم
لا تضاح دلالتها وان كان احدهما — أي الظاهر — يتطرقه
احتمال ضعيف ، والمجمل والمؤول هما المتشابه لاشتراكهما في
خفاء الدلالة ، وان كان احدهما — أي المؤول — دالا على
معنى مرجوح يقابله معنى راجح ، والمجمل دالا على
مرجوح يقابله معنى مرجوح آخر . قال الشاطبي : فالتشابه
حقيقي واضافي ، فالحقيقي ما لا سبيل الى فهم معناه ، وهو
المراد من الآية « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم
تأويله إلا الله والراسخون في العلم » والاضافي ما اشتبه معناه
لاحتياجه الى مراعاة دليل آخر ، فاذا تقصى المجتهد أدلة
الشريعة وجد فيها ما يبين معناه ، والتشابه بالمعنى الحقيقي
قليل جداً في الشريعة ، وبالمعنى الاضافي كثير .

وقد دلت هذه الآية « هو الذي انزل عليك الكتاب الخ »
على ان من القرآن محكما ومتشابهها ، ودلت آيات أخر على ان
القرآن كله محكم : كتاب احكمت آياته .. تلك آيات الكتاب
الحكيم » ، والمراد انه أحكم واتقن في بلاغته وفصاحته ،
كما دلت آيات على ان القرآن كله متشابه : « الله نزل احسن
الحديث كتاباً متشابهاً » والمعنى انه تشابه بين الحسن والبلاغة
والحقيقة وذلك معنى قوله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافاً كثيراً » فلا تعارض بين هذه الآيات لاختلاف
المراد بالاحكام والتشابه .



سبب ورود المتشابه في القرآن

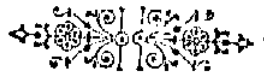
وسبب وقوع المتشابهات في القرآن هو كونه دعوة وموعظة وتعلية وتشريعاً باقياً ومعجزة في آن واحد ، وخوطب به قوم لم يسبق لهم عهد بالتعليم والشرائع فكان جائياً على اسلوب مناسب يجمع هذه الامور الثلاثة بحسب حال المخاطبين الذين لم يعتادوا الاساليب التدريسية والامالي العامية ، وانما كانت هيراهم الخطابة والمقاولة ، فاسلوب المواعظ والدعوة قريب من اسلوب الخطابة وهو لذلك لا يأتي على اساليب الكتب المؤلفة للعلم والقوانين الموضوعة للتشريع فاودعت العلوم المقصودة منه في تضاعيف الموعظة والدعوة وكذلك اودع فيه التشريع فلا تجد احكام النوع من المعاملات كالبيع متصلاً بعضها ببعض بل تلقيه موزعاً على حسب ما اقتضته مقامات الموعظة والدعوة ليخف تلقيه على السامعين ويعتادوا علم ما لم يألفوه في اسلوب قد ألفوه فكانت متفرقة يضم بعضها الى بعض بالتدبر .

ثم ان العلوم التي تعرض لها القرآن هي من العلوم العليا او هي علوم ما وراء المادة وعلوم مراتب النفوس وعلوم النظام العمراني وعلوم الحكمة وعلوم الحقوق ، وفي ضيق اللغة الموضوعية عن الايفاء بغايات مرادات هاته العلوم وقصور حالة استعداد افهام عموم المخاطبين لها ما اوجبت تشابها بين مدلولات الآيات الدالة عليها .

واعجاز القرآن منه اعجاز نظمي ، ومنه اعجاز علمي ، وهو ضرب عظيم من الاعجاز ، فاما تعرض القرآن الى بعض دلائل الاكوان وخصائصها فيما تعرض اليه جاء به محكما بعبارة تصلح لحكاية حالته على ما هو في نفس الامر ، وربما كان ادراك كنه حالته في نفس الامر مجهولا لاقوام فيعدون تلك الآي الدالة عليه من المتشابه ، فاذا جاء قوم بعدهم فادركوا المراد منها علموا ان ما عدده الدين قبلهم متشابهاً ما هو الا محكم ، على أن من مقاصد القرآن أمرين آخرين :

أحدهما : كونه شريعة داعمة وذلك يقتضي فتح ابواب عبارته لمختلف استنباط المستنبطين حتى يؤخذ منه أحكام الاولين والآخرين .

وثانيهما : آمويد حملة هذه الشريعة وعاماء الامة بالتنقيب
والبحث واستخراج المقاصد من عويصات الادلة حتى تكون
طبقات علماء الامة صالحة في كل زمان لمشاركة المشرع في
مراده من التشريع ، ولو صيغ لهم التشريع في اسلوب سهل
التناول لاعتمادوا العكوف على ما بين انظارهم في المطالعة
الواحدة . من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف
منازع المجتهدين قائمة مقام تجديد الكتب والتآليف في
اختلاف أنظمة التعليم .
فاذا علمت هذا علمت اصل السبب في وجود ما يسمى
بالمشابهة في القرآن .



مراتب التشابه

وبقي أن نذكر مراتب التشابه وتفاوت أسبابها ، وانها فيما انتهى اليه استقراؤنا الآن عشر مراتب :

اولاها : معان قصد ايداعها في القرآن وقصد اجمالها اما لعدم قابلية البشر لفهمها ولو في الجملة ان قلنا بوجود المجمل الذي استأثر الله به ، ونحن لا نختاره ، واما لعدم قابليتهم لفهمها بالكنه فالقيت اليهم على وجه الجملة ، او لعدم قابلية بعضهم في عصر او جهة لفهمها بالكنه ، وهذا مثل احوال القيامة وبعض شؤون الربوبية ، كالتجلى في ظل الغمام والرؤية والكلام ونحو ذلك .

ثانيها : معان قصد الاعلام بها وتعين ايرادها بجملة مع امكان حملها على معان معلومة لكن بتأويلات ، كحروف أوائل السور ، ونحو الرحمن على العرش استوى ، ثم استوى الى السماء .

ثالثها : معان عالية ضاقت عن تمام كنهها اللغة الموضوعية

لا أقصى ما هو متعارف الواضعين لا لغير المتقارب فعبّر عن تلك المعاني بأقصى ما يقرب معانيها إلى الأفهام ، وهذا مثل أكثر صفات الله ، نحو : الرحمن الرؤوف المتكبر ، نور السموات والأرض .

رابعها : معانٍ قصرت عنها الأفهام في بعض أحوال العصور ، وأودعت في القرآن ليكون وجودها معجزة لأهل العلم في عصور قد يضعف فيها إدراك الإعجاز النظمي نحو : « والشمس تجري لمستقر لها . وأرسلنا الرياح لواقح . يَكُور الليل على النهار ... وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ... تنبت بالدهن .. زيتونة لا شرقية ولا غربية .. وكان عرشه على الماء ... ثم استوى إلى السماء وهي دخان » وذكر يأجوج ومأجوج^(١) .

خامستها : مجازات وكنيات مستعملة في لغة العرب إلا أن ظاهرها أوهم معاني لا يليق الحمل عليها ، وتوقف فريق في

(١) هذه آيات دلت على معانٍ عظيمة كشفها العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية والجغرافية وتناهيها يحتاج إلى تطويل .

محملها تنزيها نحو : « فانك باعيننا ... والسماء بذيناها بأيد ...
ويبقى وجه ربك » ونحو المشاكاة في « يخادعون الله وهو
خادعهم »

سادستها : الفاظ من لغات العرب لم تعرف لدى الذين
نزل القرآن بينهم من قريش والانصار مثل « وفا كفة و ابا ..
أو يأخذهم على تخوف .. ان ابراهيم لأواه حلیم .. ولا طعام
الا من غسلين » وقريب من هذا « وآت كل واحدة منهن
سكينا »

سابعها : مصطلحات شرعية لم يكن للعرب علم بخصوصها
فما اشتهر منها بين المساميين معناه صار حقيقة عرفية كالتميم
والزكاة ، وما لم يشتهر بقي فيه اجمال كالربا .

ثامتها : اساليب عربية جهلها اقوام فظنوا الكلام
بها متشابها ، وهذا مثل زيادة الكاف في قوله تعالى « ليس
كشاه شيء » ومثل قوله تعالى « وما كادوا يفعلون ... وما
ربك بظلام للعبيد »

تاسعتها : آيات جاءت على عادات العرب ففهمها المخاطبون

وجاء من بعدهم فلم يفهموها فظنوها من المتشابه مثل قوله
« فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بها »
« ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا
ما اتقوا و آمنوا » فان المراد فيما شربوا من الخمر قبل تحريمها .
عاشرتها : افهام ضعيفة تظن كثيراً من المتشابه وما هو
منه ، وذلك افهام الباطنية و افهام الظاهرية كقوله تعالى « يوم
يكشف عن ساق »



ترجمة القرآن

القرآن : هو اسم للفظ العربي المخصوص الدال على المعنى وقد اجمع على هذا أئمة المسلمين . وقال علماء الاصول في تعريف القرآن : هو اللفظ العربي المنزل للاعجاز المنقول اليها تواتراً . ويتضح من هذا ان اللفظ العربي الذي ازل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز لا بد منه في تحقيق القرآنية وان مجرد المعنى لا يسمى قرآناً ولا كلام الله .

والترجمة : هي الاتيان بكلام من لغة يؤدي ما يؤديه كلام من لغة أخرى وليس مسده فيما هو المقصود منه . وقيل هي تفسير الكلام بلسان آخر على وجه يستوفي كل القصود منه . والترجمة اما ان تكون لفظية : وهي ابدال لفظ بلفظ آخر يرادفه في المعنى مع الاحتفاظ بما للمبدل منه من الدلائل القريبة والبعيدة ، والدلائل الاصلية والتبعية ، وبما له من مميزات وموسيقى وخفة على الاسماع وتأثير في القلوب . وهذه الترجمة مما ليست في استطاعة احد كما اجمع على ذلك العلماء ،

لان القرآن الكريم فقد انزل قرآناً عربياً مبيناً ممجزاً ولا
تتسع أية لغة من اللغات لترجمته على هذا المنوال ، بل لا يمكن
ان يعارض باللغة العربية نفسها : « قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيراً » اذ القرآن الكريم له معان اصلية وهي
ما يستوي في فهمه كل من عرف مدلولات الالفاظ المفردة
فيمكن لكل انسان عالم بذلك المعنى ان يؤديه بأية عبارة
كانت . وله معان ثانوية — ويسمى علماء البلاغة بمستبعات
التراكيب — وهي خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام
كالايجاز والاطناب والكناية والمجاز والتقديم والتأخير الى
غير ذلك . واذا كان للقرآن الكريم معان اصلية وأخرى
تابعة وهي مظهر بلاغته واملاك اعجازه ، فان ترجمته بالنظر
الى المعاني الثانوية مستحيلة ، وحينئذ لا يمكن ترجمة القرآن
ترجمة تؤدي المعاني التي بها الاعجاز ولا سيما البلاغة منه . وان
اللغات الراقية وان كان لها بلاغة فان لكل لغة خواصها
لا يشاركها غيرها فيها ، فالترجم ان عول على نقل ما في الاصل

من الخواص فانه لا تتأدى له البلاغة المطلوبة الا اذا تشاركت اللفتان في الخواص بعينها وهذا غير حاصل ولا يمكن بحال من الاحوال ان يصل الى درجة الاعجاز مهما ارتقت درجته في البلاغة . واذا انتفى الاعجاز عنه بالترجمة انتفت قرآنيته ، كما انتفى ان تقوم الترجمة مقام الاصل في الاحكام .

وقد تكون الترجمة تفسيرية : وهي الاتيان بما يفهم منه المعنى المشتمل عليه الكلام الاول وان لم يكن مستوفياً لكل ما يقصد منه ، وقيل هي التعبير عن كلام المفسرين بكلام آخر من لغة أخرى ، وهذه هي محل الجواز اذا اقتضت الترجمة على التفسير وحده دون تناول كلام الله تعالى . وهي كترجمة كتاب من كتب التفسير المعروفة أو كتفسير القرآن بلغة غير عربية . وهذه جديرة بان تسمى تفسير القرآن بغير لغته .

وقد اجمع العلماء على منع ترجمة القرآن لان ذلك غير ممكن قال ابن تيمية الحنبلي في الرسالة السبعينية : وأما الاتيان بلفظ يبين المعنى كبيان لفظ القرآن فهذا غير ممكن أصلاً ، ولهذا قال أئمة الدين : على انه لا يجوز ان يقرأ بغير العربية

لا مع القدرة ولا مع المعجز عنها لأن ذلك يخرجها عن أن يكون هو القرآن المنزل .

وقال الامام الغزالي الشافعي في كتابه الجوامع العوام :
لا يجوز النطق إلا باللفظ الوارد ، لأن من الالفاظ العربية
مالا يوجد لها فارسية تطابقها ، ومنها ما يوجد لها فارسية
تطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي
جرت عادة العرب باستعارتها ، ومنها ما يكون مشتركا في العربية
ولا يكون مشتركا في الفارسية .

وقال ابو بكر العربي المالكي في كتابه احكام القرآن في
تفسير قوله تعالى « ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت
آياته أأعجمي وعربي » قال علماءنا - اي المالكية - هذا
يبطل قول ابي حنيفة رضي الله عنه . ان ترجمة القرآن بابدال
اللغة العربية منه بالفارسية جائز ، لان الله تعالى قال « ولو جعلناه
قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي » نفى ان
يكون للعجمة اليه طريق ، فكيف يصرف الى مانق الله عنه ،
ثم قال : ان التبيان والاعجاز انما يكون بلغة العرب ، فهو قلب

الى غير هذا لما كان قرآناً ولا بياناً ولا اقتضى اعجازاً .

وقال الزركشي الشافعي في البحر المحيط : لا يجوز
ترجمة القرآن بالفارسية ولا غيرها بل تجب قراءته على الهيئة
التي يتعلق بها الاعجاز لتقصير الترجمة عنه ولتقصير غيره من
الالسن عن البيان الذي خص به دون سائر الالسن .

وجاء في المجموع للشافعية : أما الفائحة وغيرها من القرآن
فلا يجوز ترجمته بالمعجمة بلا خلاف لأنه يذهب الاعجاز .
وقال : ومذهبنا — اي الشافعية — انه لا يجوز قراءة القرآن
بغير لسان العرب سواء امكنته العربية أم عجز عنها وسواء
أكان في الصلاة أم في غيرها ، فان أتى بترجمته في صلاة بدلا
عنها لا تصح صلاته سواء احسن القراءة أم لا ، وبه قال
جماهير العلماء منهم مالك و احمد و داود .

وقال السيوطي الشافعي في الاتقان : لا يجوز قراءة
القرآن بالمعنى لان جبريل أداه باللفظ ولم يبح له ايجازه بالمعنى .
وقال الدسوقي المالكي في حاشيته على شرح الدردير :
لا يجوز قراءة القرآن بغير العربية بل لا يجوز التكبير في الصلاة

بغيرها ولا بمرادفه من العربية فان عجز عن النطق بالتكبير
بالعربية سقط عنه ، وان عجز عن النطق بالفاتحة بالعربية وجب
عليه ان يأتى بمن يحسنها ، فان امكنه الاتمام ولم يأتى بطلت
صلاته ، وان لم يجد اماماً سقطت عنه الفاتحة وذكر الله تعالى
وسبحة بالعربية :

وقال الشيخ مخلوف المالكى في رسالته : ومذهب المالكية
انه لا تجوز قراءة القرآن وكتابته بغير العربية .

وفي كشف القناع للحنا بلة : فان لم يحسن قرآناً ولا آية
حرم ترجمته أي تعبيره عنه بلغة أخرى ، لان الترجمة عنه تفسير
لا قرآن ، ولا تصح الصلاة بقراءة تخرج عن مصحف عثمان .

وفي شرح المنتهى للحنا بلة : ولا يترجم عن ذكر مستحب
بغير العربية ولو عجز عنها لانه غير محتاج اليه فان فعل أي ترجم
عن ذكر مستحب بطلت صلاته .

وفي الفتاوى الغياثية للحنفية : لو اعتاد القراءة بالفارسية
أو أراد ان يكتب المصحف بها منع من ذلك أشد المنع لما فيه
من الفتنة العظيمة .

وقال ابو بكر محمد بن الفضل البخاري الحنفي : من تعدد
قراءة القرآن أو كتابته بالفارسية فهو مجنون أو زنديق
والمجنون يداوى والزنديق يقتل .

وفي الاسرار على شرح المنار للحنفية : لو كتب مصحفاً
بالفارسية أو واظب على القراءة بها يمنع منه . وينسب الى
الزندقة أو الجنون .

وقال الزيلعي الحنفي في شرحه على الكنز : الصحيح ان
القرآن هو النظم والمعنى جميعاً عنده - أي ابي حنيفة -
لانه ممجزة للنبي صلوات الله وسلامه والاعجاز وقع بهما جميعاً إلا انه لم
يجعل النظم ركناً لازماً في حق جواز الصلاة خاصة لانها
ليست مجال الاعجاز : فقوله خاصة يدل على ان الخلاف انما
هو في الصلاة فقط أما غيرها فلا خلاف .

وفي حواشي المنار للحنفية : اسقط ابو حنيفة فرض
النظم في حق الصلاة خاصة رخصة في قول ، وروي رجوعه
الى قولها وعليه الاعتماد لانها ليست حالة اعجاز حتى لو كتب
بالفارسية أو واظب على القراءة بها يمنع وينسب الى الزندقة
والمجنون .

وقال الشيخ محمد بن حنيت الحنفي مفتي الديار المصرية في رسالته
(حجة الله على خلقته) : ان كانت الترجمة ابدال لفظ مكان
لفظ من القرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المنقول تواتراً لم
يكن قرآناً بل هو تبديل للقرآن والتبديل لا يجوز بالاجماع
لا كتابة ولا قراءة ولو كان بألفاظ عربية أو بخط غير خط
المصحف العثماني . ثم قال : واذا كان الاجماع منعقداً على منع
الكتابة بغير الالفاظ العربية المنزلة ولو كانت الكتابة بالعربية
بالفاظ أخرى فكتابه بأي لغة من اللغات غير العربية
كالتركية مثلاً أولى وأحق بالمنع . ثم قال : وبذلك بطل
تشديق الملحدين في هذا العصر من قولهم انه يجوز كتابة
القرآن أو قراءته في غير الصلاة مطلقاً مع المعجز بغير اللغة
العربية التي بها نزل القرآن كالانكليزية أو التركية أو اللاتينية
ونحو ذلك مما الحدوا به في هذا الزمن . الى ان قال : ومن
زعم ان كتابته بالعجمة فيها سهولة للتعليم فهو كذب مخالف
لواقع والمشاهدة فلا يلتفت اليه ، ولو سلم صدقه لم يكن
مبيحاً لاخراج الفاظ القرآن عما كتبت عليه وأجمع عليه
السلف والخلف .

وقال الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الازهر في رسالته
 (القول الفصل) : فالحق الذي لا محيص عنه انه لا يحل الاقدام
 على ترجمة القرآن الكريم الى غير العربية ، كما لا يحل الاقدام
 على تبديل آية كلمة من كلماته الشريفة بما يرادفها من العربية
 ولا على نقل اية كلمة او آية من موضعها الى موضع آخر من
 آياته وسوره . وقال : هل نحن في حل من التعويل على الموازنة
 المعنوية في القرآن الكريم اذا نحن اردنا ان نغير عبارة باخرى
 من نظمه الشريف من اللغة نفسها ام لسنا في حل من ذلك
 مهما بالغنا في المحافظة على تلك الموازنة المعنوية ، والواقع اننا
 اذا تتبعنا آراء المسلمين منذ بعث الله محمداً ﷺ الى هذا
 العهد عهد التجدد والانتقال فاننا لانجد من بين هؤلاء رجلا
 واحداً يتردد في جواب على هذا التساؤل بالسلب البات
 والتحریم القاطع . الى ان قال : ومتى كان هذا النوع من باب
 التعبير بعبارة اخرى من اللغة نفسها محظورا الى هذا الحد في
 القرآن الكريم باجماع المسلمين فاولى ثم اولى ان يكون محظورا
 اشد الحظر في باب التغير الذي يتناول جميع الكلمات من نظمه

الشريف في الترجمة من اللغة العربية الى غيرها من اللغات . ثم قال : فانا لنعلم على رؤوس الاشهاد ان ترجمة القرآن الكريم الى الالعجمية حرام باجماع الفقهاء وأئمة الدين المجتهدين ، وان قراءة القرآن بغير اللغة العربية حرام باجماع الفقهاء وأئمة الدين المجتهدين ، وان تداول هذه التراجم في اقطار المعمورة بين من يحسن العربية ومن لا يحسنها حرام باجماع الفقهاء وأئمة الدين المجتهدين

وقال العلامة زادة في شرح الجزرية : اذا لم يقرأ القرآن على الوجه الذي نزل به يكون مخالفاً لله ولرسوله والمخالف لله ولرسوله عاصي والمعاصي آثم والآثم معاقب وكل ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه حرام

وجاء في صحيح ابن خزيمة ان رسول الله ﷺ قال : ان الله يحب ان يقرأ القرآن كما انزل .

حكم القراءة في الصلاة بغير العربية

وقد وقع خلاف بين الأئمة في القراءة في الصلاة بالفاظ غير عربية يعبر بها عن طائفة من معاني القرآن الكريم ، فقد اجمع الأئمة الثلاثة - الشافعي ومالك واحمد - على انه اذا قرأ المصلي بغير العربية سواء كان قادرا على القراءة بالعربية او غير قادر فسدت صلاته لان المقروء ليس بقرآن لعدم اللفظ العربي كما انه من جنس كلام البشر لذلك تفسد صلاته .

قال السرخسي في كتابه المبسوط : وعند الشافعي لا تجوز القراءة بالفارسية باي حال ، ودليله ان الفارسية غير القرآن والله تعالى يقول (انا جعلناه قرآنا عربيا) ، والواجب قراءة القرآن فلا يتأدى بغيره بالفارسية لان الفارسية من كلام الناس فتفسد صلاته .

وجاء في المغني للحنابلة : من كانت لغته غير العربية لم يجز له ان يقرأ بها ، ومن قرأ بغير العربية فلا صلاة له .

وقال النيسابوري : قال الشافعي ترجمة القرآن لا تكفي

لصحة الصلاة في حق من يحسن القراءة بالعربية ولا في حق من لا يحسنها لانه عليه الصلاة والسلام والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرؤوا في الصلاة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم . وقال : وكيف يجوز عاقل قيام الترجمة باي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر

وقال ابن المنذر : لا تجزى القراءة بالفارسية في الصلاة لانه خلاف ما أمر الله به وخلاف ما علم النبي ﷺ (بمثل قوله : صلوا كما رأيتموني اصلي) وخلاف جماعات المسلمين وفي المجموع للشافعية : ان مذهب الشافعية وجهاهير العلماء منهم مالك واحمد وداود انه لا تجوز القراءة بغير لسان العرب مطلقا سواء أكان في الصلاة أم في غيرها ، وسواء أكان عاجزاً عن العربية ام لا ، ولو قرأ الفاتحة بلغة لبعض العرب غير اللغة المقروء بها او قرأ بترجمتها في صلاته لم تصح صلاته

وقام ابن حزم في كتابه المحلى : من قرأ ام القرآن او شيئاً منها او شيئاً من القرآن في صلاته مترجماً بغير العربية او

بالفاظ عربية غير الالفاظ التي انزل الله تعالى عامداً لذلك أو
قدم كلمة أو اخرها عامداً لذلك بطلت صلاته وهو فاسق لأن
الله تعالى قال (قرآنا عربيا) وغير العربي ليس عربيا فليس
قرانا ، واحالة عربية القرآن تحريف لكلام الله تعالى ، وقد ذم
الله تعالى قوماً فعلوا ذلك فقال (يحرفون الكلم عن مواضعه)
ومن كان لا يحسن العربية فليذكر الله تعالى بلغته لقول الله
تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ولا يحل له ان يقرأ أم
القرآن ولا شيئاً من القرآن مترجماً على انه الذي افترض عليه
ان يقرأه لانه غير الذي افترض عليه كما ذكرنا فيكون مفترياً
على الله تعالى

وفي العيني وفتح الباري عند شرح الحديث الشريف : اذا
قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن . قال ابن
عياض : في هذا الحديث حجة على من اجاز القراءة بالفارسية
لكون ما ليس بلسان العرب لا يسمى قرآنا

وقال النووي في شرح مسلم : تحرم قراءة الفاتحة بالعجمة
ولا تصح الصلاة بها سواء أعرف العربية ام لا

وفي حاشية ترشيح المستفيدين : من جهل الفاتحة لا يجوز
له ان يترجم عنها لقوله تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا)
والمعجمي ليس كذلك وللتعبد بالفاظ القرآن

وقد ذكر الحنفية ان ابا حنيفة رضي الله عنه كان يقول
أولاً : اذا قرأ المصلي بغير العربية مع قدرته عليها اكتفى بتلك
القراءة . ثم رجع عن ذلك وقال : من كان قادراً على العربية
ففضله قراءة النظم العربي ولو قرأ بغيرها فسدت صلاته فخلوها
عن القراءة مع قدرته عليها والائتيان بما هو من جنس كلام
الناس حيث لم يكن المقروء قرآناً . وذكر هذا الرجوع نوح
بن ابي مريم وهو من اصحاب ابي حنيفة اخذ الفقه عنه ،
وروى رجوع الامام ايضاً علي بن الجعد وهو من اصحاب
ابي يوسف ، ورواه ايضاً الجصاص وهو امام الحنفية في وقته .
اما العاجز فهو عندهم كالاممي في انه لا قراءة عليه ، وان المؤدى
بلغة اخرى ان كان قصة فسدت صلاته لانه متمكلم بكلام غير
قرآن وليس ذكراً ، وان كان ذكراً لا تفسد لان الذكر باي
لسان لا يفسد الصلاة

وقال صاحب البحر المحيظ: والذين لم يظلموا على الرجوع من اصحابه - اي اصحاب ابي حنيفة - قالوا أراد به عند الضرورة والعجز عن القرآن ، فان لم يكن كذلك امتنع وحكم بزندقة فاعله ، وليس الا لحاد ممن قدر أن يقرأ في الصلاة بالعربية فعدل عنها الى الأعجمية ببعيد

ولنختم هذه الكلمة بملخص مقال للاستاذ الشيخ محمد سليمان رحمه الله تعالى عنوانه « ترجمة القرآن مضيعة له » قال: القرآن روح ، والروح لا يترجم ، وانظر ان شئت الى صورة الحي ذي الروح ، هل تراها تتحرك او تقوم مقامه او تغنى غناءه ؟ قال تعالى : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمؤمنين » وقال « وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » . ولهذا الروحانية التي في القرآن نرى الذين يسمعونه يحسونها ويخشعون لها ، وهذا ما جاء في القرآن عنها . قال تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتابا وتشابها مثنى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم

وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن
يضلل الله فما له من هاد »

والقرآن نور ، والنور لا يترجم ، واملاً الليل بما شئت
من انوار الكهرباء ، فهي لا تفني عن نور النهار ، ولا تقوم
مقام الشمس ، ولا تؤدي وظيفة الشمس ، ففوق ما في الشمس
من ضياء فيها الحرارة التي يكون بها الماء ، وفي الحرارة سر
الحياة وسحر السر ، وهذه آيات نوره . قال تعالى : « يا أيها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً » وقال :
« ولكن جعلناه نوراً يهدي به من نشاء من عبادنا » ، فهذا
النور الذي انزله الله على محمد هو الذي بعثه ليخرج الناس
من الظلمات الى النور ، أي الى القرآن وهداية القرآن .

القرآن عربي وسره في عربيته ، وأبى الله الا ان يكون
عربياً وان يسمع بنظمه العربي ، وأن يؤثر بتلاوته العربية ،
ويتذكر به السامع ، ويصحو على جرسه الغافل . قال تعالى :
« إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » وقال « ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآناً
عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون »

ولم تقتصر آيات القرآن على عربيته ، وتأثيره بعربيته ،
وارادة صاحبه ان يمضي بأثره في العالم عربياً ، وانما رفض
أيضاً أن يكون اعجمياً ، أو ينزله اعجمياً ، أو يبدله اعجمياً ،
فقال « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي
يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » وقال « ولو انزلناه
على بعض الأعجميين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين » وقال
« ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لو لا فصلت آياته الأعجمي
وعربي ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان
بميد » . وقد رفض في قدرة ، وأبي عن حكمة أن تبدل
كلماته ، وان يطاع اكثر من في الارض بتبديلها كما يظن
الظانون في أمر ترجمته فقال « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً
لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم »

القصص في القرآن

اشتمل القرآن الحكيم على جملة من القصص المتعلقة بالتاريخ الماضي من اخبار الأمم والأقوام السالفة ، وبعض ما جرى للرسول من الوقائع في مكة والمدينة وذلك عبرة وذكرى وشفاء لما في الصدور من الزيغ والضلال ، وارشاد الناس الى أحكام الله لتقويم البشر وتهذيب نفوسهم واصلاح معادهم ومعاشهم .

وقد وردت بعض تلك القصص مكررة ومجتمعة منفصلة باساليب متغايرة او صور متقاربة ، ولكل منها مغزى لا يؤديه غيره وصرى لا يصيبه سواه .

وانما جاءت تلك القصص في القرآن الكريم لحكم كثيرة منها :

١ -- ان هذه القصص حجة قاطعة على نبوة سيدنا محمد

ﷺ وانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى حيث

أخبر عما جرى للامم الماضية من الحوادث والوقائع مع انه

أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يخالط احداً من الذين يعلمون
 عن تلك القصص شيئاً . قال تعالى « تلك من انباء الغيب
 نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا
 فاصبر ان العاقبة للمتقين »

٢ — تثبتت فؤاد النبي ﷺ وتسليته بما جرى لآخوانه
 من الانبياء والمرسلين ، وتبشيرهم بالعاقبة تسكيناً لبالهِ ، فلا
 يبالي بما قاساه من اضطهاد قومه له ، وذكره بما اصاب
 الانبياء والمرسلين قبله من اضطهاد وايداء وسخرية وبما لحقهم
 من قتل وتشريد وهجرة . قال تعالى « قد نعلم انه ليحزنك
 الذين لا يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله
 يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا
 وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك
 من نبي المرسلين » وقد بين له تعالى في كثير من الآيات ان
 العاقبة له وان الانتصار حليفه في معرض تلك القصص .

٣ — اتعاط الاممة واعتبارها باحوال الامم الماضية وما
 كانت عليه من ضعف وقوة وتصديق وتكذيب وجد وكسل ،

وما أصابها بسبب ذلك من ذل وعز وسيادة وعبودية ورفاه
 وفضلك ليتدبر المسلمون ذلك كله وليعاموا ان تلك الأمم لم
 تنزل بها المصائب والاهوال ولم تذل وتخضع لغيرها الا لانحرافها
 عن الصراط السوي وانحدارها الى حضيض الشهوات وعصيانها
 اوامر الله ورسوله . قال تعالى بعد ذكر الذي آناه الله آياته
 فانسلخ عنها « ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص
 القصص لعلهم يتفكرون » وقوله تعالى « وظنوا انهم مانعهم
 حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في
 قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا
 يا أولي الابصار »

وليعلم المسلمون ايضاً ان الأمم لا تستحق السيادة
 والاستخلاف في الارض الا اذا كانت صالحة عاملة عالمة
 عادلة سخية مستبسة مضحجة في سبيل دينها وبلادها بالنفس
 والمال ، وان نصر الأمة وانقاذها من مخالب الأمم القوية
 لا يكون الا بالايان الكامل ، واتقاء اسباب الخذلان من تفرق
 وتنازع وتخاذل وقنوط « وقال موسى لقومه استعينوا بالله

واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والماقبة
للمتقين »

وبين تعالى ان اسباب هلاك الامم هو ظلمها : « وتلك
القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا » .

وبين تعالى ان انتشار المعاصي والشهوات والترف وانكار
آيات الله سبب الهلاك والدمار « أو لم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد
منهم قوة واثاراً في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم
من الله من واق »

وبين تعالى انه يبتي الامم بالبأساء والضراء وبالسراء
والرخاء ليكون ذلك درساً من دروس التربية الاجتماعية وحافزاً
لطرق سبل الخير والفلاح : « وما ارسلنا في قرية من نبي
الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون . ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضراء
والسراء فاخذناهم بفتة وهم لا يشعرون »

٤ — معرفة النظام التشريعي وتطوره ، وان قسما من

النظم التي كانت مشروعة للامم الماضية قد جعلها الله تعالى
شريعاً لنا مثل التصاص فانه ورد في شريعة موسى عليه السلام
« وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص » وقد
أقره الله تعالى في الشرع الاسلامي وجعله نظاماً من انظمته
القضائية .

وكذا تحريم القتل فانه كان محرماً في شريعة آدم عليه
السلام : « وائل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قرباناً فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله
من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي
اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين »

وقد ذكر القرآن بعض ما كان من نظام الامم الماضية
وجاء ناسخاً لها مثل قوله تعالى « وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت
ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم » فان هذا قد كان
محرماً في شريعة موسى عليه السلام . وكذا ما كان من سنة

آل يعقوب في حكم السارق وهو شريعة ابراهيم عليه السلام
ان يسلم السارق الى المسروق منه فيسترقه سنة وذلك كقول
اخوة يوسف : « جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه »

٥ — معرفة ما ابتدعه البشر من الانظمة مما لم يأذن
به الله ، كجعل المشركين نصيباً من زروعهم وانعامهم لله تعالى
ونصيباً آخر لأوثانهم ، فما كان لله صرفوه الى ضيوفهم
وفقرائهم ، وما كان لأصنامهم انفقوه عليها ، كما انهم كانوا
يقتلون اولادهم من املاق وغير ذلك مما اخترعوه ، ويحرمون
نساءهم مما احله الله لهم ويجعلونه للرجال دونهن . قال تعالى
« وجعلوا لله مما ذرأ من الخرش والانعام نصيباً وقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله
وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون . وكذلك زين
لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا
عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون . وقالوا
هذه النعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم
وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها

افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة
فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم »

٦ - معرفة صفات الانبياء والرسل عليهم الصلاة
والسلام وما طبعت عليه من مكارم الاخلاق ومسالكتهم في
اقناع أممهم وطرق جداهم ، وتقنيده شبه الاعداء والمعاندين
وما ارتكبته تلك الامم من الجنايات والاعتداء على تعاليم
اولئك الانبياء والرسل ، وكيف انهم مسخروا الكتب السماوية
وادخلوا عليها التحريف والحذف والزيادة بحسب شهواتهم
واهوائهم وميولهم .

هذا قبس من نور تلك القصص القرآنية وما اشتملت
عليه من عبر وعظات ليتدبرها المسلمون ، ولو اردنا استقصاء
ما انطوت عليه تلك القصص من مواعظ وارشادات لاحتجنا
الى شيء كثير من الصفحات بل المجلدات .

الامثال في القرآنه

المثل في اللغة بمعنى المثل والمثيل كشبه وشبيه وهو النظير ،
ويجمع مثل على امثال . قال الزبيدي : الامثال الاشباه ، واصل
المثل الوصف هذا مثل كذا أي وصفه مساو لوصف الآخر
بوجه من الوجوه . والمثل : القول السائر الذي فيه غرابة من
بعض الوجوه والذي يمثل مضر به بمورده وحيث لم يكن ذلك
قولاً بديعاً فيه غرابة صيرته جديراً بالتسير في البلاد وخليقاً
بالقبول فيما بين كل حاضر وباد ، استعير لكل حال أو صفة
أو قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها
وبين شيء آخر تهيئه . وقيل المثل : ذكر وصف ظاهر محسوس
وغير محسوس يستدل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه
فيه نوع الخفاء ليصير في الذهن مساوياً للاول في الظهور من
وجه دون وجه . والمقصود من ذكر المثل انه يؤثر في القلوب مالا
يؤثره وصف الشيء في نفسه ، لان الغرض من ضرب المثل تشبيهه
الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته

ويصير الحس مطابقاً للعقل . ويضرب المثل لا يبرز خبيثات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب في صورة المشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وفتح لسورة الجامع الآبي ، ولأمر ما أكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه من ضرب الأمثال لأن التمثيل الطيف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه ، وأقوى وسيلة إلى تفهم الجاهل الغبي ، وفتح سورة الجامع الشامس لأنه يرفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية ويبرزها في معرض المحسنات الجليلة ، وهو ابتداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للحوشي في هيئة المأوف . ولما كان المراد بالمثل بيان الأحوال كان قصة وحكاية . واختير له لفظ الضرب لأنه يأتي عند ارادة التأثير وهيج الانفعال كأن ضارب المثل يقرع به اذن السامع قرعاً ينفذ إلى قلبه وينتهي إلى اعماق نفسه .

قال الشيخ محمد الخضر حسين :

يصور المثل الحقائق في اجلى صورة ، ويريك المعاني

الكثيرة في الكلمات القليلة ، فاذا اردت ان تصف رجلاً بالدهاء
وجودة الرأي ، والاخذ في تدبير الامور بانجح الطرق ،
ورمت ان تعبر عن هذا المعنى بلفظ موجز ينقشه في نفس
المخاطب حتى كأن يراه رأي العين ، ضربت فيه المثل :
« يعرف من اين تؤكل الكتف »

واذا سمعت كلاماً كثيراً لايجي منه فائدة ، و اردت ان
تصفه بكلمة يخف وقعها في الاذن وتضع ذلك المعنى موضع
المشاهد ، ضربت فيه المثل : « اسمع جمعة ولا أرى طحناً »
يحسن ضرب المثل حيث يكون سبب وروده معروفاً
للمخاطبين . وكثير من الامثال لا يفهم منها معنى وان كانت
الفاظها واضحة الدلالة على معانيها المفردة ، فالمثل : « ان يبع
عليك قومك لا يبع عليك القمر » مفرداته واضحة المعاني ،
وليس في تركيبه حذف ، ولا لفظ يتوقف فهمه على كلام
يسبغه أو يأتي من بعده ، ولو سقته في الحديث مع من
لا يعرف مورده لم تصل به الى الغرض الذي تستعمل من اجله
الامثال ، وهو ابراز المعنى في صورة مأوفة تتلقاها النفوس

بارتياح وانما يفي هذا المثل بالفرض ، ويقع المعنى المقصود في نفس المخاطب موضع الجلي الواضح متى عرف « ان بني ثعلبة ابن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة اربع عشرة من الشهر ، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يري ، وقالت طائفة : يغيب القمر قبل ان تطلع الشمس ، فتراضوا برجل جعلوه حكماً ، فقال واحد منهم : ان قومي يبغون علي ، فقال الحكم : « ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر »

قد يستعمل المثل على وجه الاستعارة ، كضربك المثل « الصيف ضيعت اللبن » في حق من كان متمكناً من أمر فاضاعه من يده ، ثم جاء يطلبه بعد فواته ، فانك شبهت حال هذا الرجل بمورد المثل ، وهو حال المرأة التي كانت تحت شيخ موسر فسألته الطلاق فطلقها زمن الصيف ، فتزوجت شاباً فقيراً ، فلما دخل الشتاء ارسلت الى الشيخ تستسقيه لبناً ، فقال لها « الصيف ضيعت اللبن » واستعرت هذا المثل الى حال الرجل الذي اضاع امراً كان طوع يده ، ثم رغب في مناله .

واستهال الامثال على هذا الوجه هو الذي تحدث عنه
البيانيون فقالوا : متى فشا استهال المجاز المركب سمي
« مثلاً » .

وقد يستعمل المثل على وجه التشبيه الصريح ، كأن
تذكر شخصاً تريد ان تصفه بأنه يشتهي قربه ، ويخاف شره
فتقول : هو « كالخمر يشتهي شربها ، ويخاف صداعها »

وقد يستعمل على وجه الحقيقة المحضة ، كأن ترى شخصاً
اعتبر في بعض الامور بما وقع فيه غيره من عاقبة مكروهة
فأخذ حذره من ذلك الامر ، فتقول : « السعيد من اعظ
بغيره » فليس في ضرب هذا المثل استعارة ولا تشبيه .

يلزم في المثل ان يكون قولاً موجزاً شائعاً ، وقد يكون
حكمة ، أي كلاماً ينهي عن سفه ، او يدعو الى خير ، نحو :
« ان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً ابقى » وهو مثل يضرب
لمن يجهد نفسه في طلب الشيء ، ويبالغ في الطلب حتى انه
ربما يدركه التعب أو الملل ، فينقطع دون البلوغ الى الغاية .
وقد يكون خالياً من الحكمة بالمعنى المشار اليه ، ولكنه

يدل على معنى مقبول ، كالأمثال الصالحة للاعتذار ، نحو :
« مكره أخاك لا بطل » .

والحكمة التي تؤدي ما يؤديه المثل إلا أنها لم تشع في
الجمهور ، ولم تجر إلا بين الخواص ، يسميها بعض الأدباء
بالنادرة .

ومن الأمثال ما يكون كلاماً مستقلاً بنفسه ، نحو :
« حبك الشيء يعمي ويصم » ونحو : « رب أخ لك لم تلده
أمك » . وقد يكون مقتطعاً من كلام ، نحو : « ان المقدرة
تذهب الحفيظة » قال أبو عبيد : بلغنا هذا المثل عن رجل
عظيم من قريش في سالف الدهر كان يطلب رجلاً بثأراً فلما
ظفر به قال : لولا ان المقدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك
ثم تركه . والى هذين الضربين من الأمثال اشار المرزوقي في
كتاب الفصيح فقال : المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها
أو مرسلة بذاتها ، فتتسم بالقبول ، وتشتهر بالتداول .

قال الجرجاني في كتابه (اسرار البلاغة) :

واعلم ان مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في

اعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن
صورها الأصلية الى صورته ، كساها ابهة ، وكسبها منقبة ،
ورفع من اقدارها ، وشب من ناره ، وضاعف قواها في
تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من
اقاصي الافئدة صبابة وكلفاً ، وقسر الطباع على ان تعطىها
محبة وشغافاً فان كان مدحاً كان ابهى وانخم ، وانبل في النفوس
واعظم ، وأهن للعطف ، وأسرع للالف ، واجلب للفرح ،
واغلب على الممتدح ، واوجب شفاعاة للمادح ، واقضى له
بغرر المواهب والمناجح ، وأسير على الالسن واذكر ، وأولى
بان تعلقه القلوب واجدر ، وان كان ذمماً كان مسه اوجع ،
وميسمه ألدع ، ووقعه أشد ، وحده احد ، وان كان حجاجاً
كان برهانه أنور ، وسلطانه اقهر ، وبيانه ابهر ، وان كان
افتخاراً كان شأوه أبعد ، وشرفه أجد ، ولسانه ألد ، وان
كان اعتذاراً كان الى القبول اقرب ، وللقلوب أخلب ،
وللسخائم أسل ، ولغرب الغضب أقل ، وفي عمق العقود أنفت
وعلى حسن الرجوع أبعث ، وان كان وعظماً كان اشفي

للمصدر ، وادعى الى الفكر ، وابلغ في التنبيه والزجر ، واجدر بان يجلي الغيابة ، ويبصر الغاية ، ويرى العليل ، ويشفي الغليل . الخ

وان الامثال التي وردت في القرآن الكريم ترمي الى مغازى ومزامى كثيرة ، منها : التذكير ، والوعظ ، والحث والزجر والاعتبار والتقرير والتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس والمدح ، والذم والثواب والعقاب ، وتفخيم الامر وتحقيره ، وتحقيق امر وابطاله ، قال صلى الله عليه وسلم : ان القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال ، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال .

قال الماوردي : من اعظم علم القرآن علم امثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالامثال واغفاهم الممثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام .

وقال السيوطي في اتقانه ما ملخصه : امثال القرآن قسمان ظاهر مصرح به ، وكامن لا ذكر للمثل فيه . فمن

امثلة الاول قوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً .
الآيات » ضرب فيها للمنافقين مثلين ، مثلاً بالنار ، ومثلاً بالمطر
قال ابن عباس : هذا مثل ضرب به الله للمنافقين كانوا يعززون
بالاسلام فينا كحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم النبيء
فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوءه وتركهم
في ظلمات ، يقول في عذاب ، او كصيب هو المطر ضرب مثله
في القرآن فيه ظلمات يقول ابتلاء ورعد وبرق تخويف ،
يكاد البرق يخطف ابصارهم ، يقول يكاد يحكم القرآن يدل على
عورات المنافقين ، كما اضاء لهم مشوا فيه ، يقول كما اصاب
المنافقون في الاسلام عزاً اطمأنوا فان اصاب الاسلام
نكبة قاموا فأبوا ليرجعوا الى الكفر . كقوله تعالى « ومن
الناس من يعبد الله على حرف . الآية » ومنها قوله تعالى « انزل
من السماء ماء فسات اودية بقدرها . الآية » قال ابن عباس :
هذا مثل ضرب به الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها
وشكها ، فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك واما ما ينفع
الناس فيمكث في الارض وهو اليقين كما يجعل الحلي في النار

فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار كذلك يقبل الله اليقين
ويترك الشك، وقال قتادة : ومنها قوله تعالى : « والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » قال
ابن عباس هذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعماله
طيب، كما ان البلد الطيب ثمره طيب . والذي خبث ضرب مثلاً
للكافر كالبلد السبخة المالحه، والكافر هو الخبيث وعماله خبيث
ومنها قوله تعالى « أيود أحدكم ان تكون له جنة من
نخيل واعناب » قال ابن عباس : ضربت لرجل غني عمل بطاعة
الله ثم بعث الله له شيطاناً فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله .

واما الامثلة الكامنة التي لا ذكر للمثل فيها : فقد سأل
مضارب بن ابراهيم الحسن بن الفضل بقوله : انك تخرج امثال
العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كتاب الله (خير الامور
اوساطها) قال نعم في اربعة مواضع قوله تعالى « لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك » وقوله تعالى (والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقوله تعالى (ولا
تجعل يدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وقوله

تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) .

وسأله هل تجد في كتاب الله « من جهل شيئاً عاداه » قال نعم في موضعين « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » « واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم »

وسأله عن « احذر شر من احسنت اليه » فقال « وما تقوموا إلا ان اغناهم الله ورسوله من فضله » وعن « ليس الخبر كالعيان » فقال « أولم تؤمن قال بلى وليكن ليطمئن قلبي » وعن « في الحركات بركات » فقال « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة » وعن « كما تدين تدان » فقال « من يعمل سوءً يجز به » .
وعن « حين تبلي تدري » فقال « وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلاً » وعن « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فقال (هل آمنكم عليه إلا كما امنتكم على اخيه من قبل) وعن (من اعان ظالماً سلط الله عليه) (كتب عليه انه من تولاه فانه يضاه ويهديه الى عذاب السعير) وعن

(لا تله الحية إلا حية) فقال (ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)
وعن (لا يحيطان آذان) فقال (وفيكم سماعون لهم) وعن
(الجاهل مرزوق والعالم محروم) فقال (من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مداً) وعن (الحلال لا يأتيك إلا قوتاً
والحرام لا يأتيك إلا جزافاً) فقال (اذ تأتيهم حيتانهم يوم
سبئهم شرعاً ويوم لا يسبئون لا تأتيهم)

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم جارية مجرى
المثل . مثل قوله تعالى (ليس لها من دون الله كاشفة) و (لن
تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) و (الآن حصحص الحق)
و (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه) و (ذلك بما قدمت يداك)
و (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) و (أليس الصبح بقريب)
و (حيل بينهم وبين ما يشتهون) و (لكل نبأ مستقر)
و (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) و (قل كل يعمل على
شاكلته) و (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)
و (كل نفس بما كسبت رهينة) و (وما على الرسول إلا
البلاغ) و (ما على المحسنين من سبيل) و (هل جزاء

الاحسان إلا الاحسان) و (كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة) و (الآن وقد عصيت قبل) و (وتحسبهم جميعاً
وقلوبهم شتى) و (ولا ينبئك مثل خبير) و (كل حزب بما
لديهم فرحون) و (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم)
و (وقليل من عبادي الشكور) و (لا يكلف الله نفساً إلا
وسعها) و (لا يستوي الخبيث والطيب) و (ظهر الفساد
في البر والبحر) و (ضعف الطالب والمطلوب) و (لمثل هذا
فليعمل العاملون) و (قليل ما هم) و (فاعتبروا يا اولي الابصار)



فوائح السور

كثرت اقوال العلماء وتعددت آراؤهم في فوائح السور ،
وذلك لانه لم يرد عن النبي ﷺ ذكر معناها ، وقد كان
علماء السلف يفوضون أمرها الى الله تعالى ويجعلونها من قبيل
المتشابه الذي استأثر الله جل جلاله بعلمه
ولكن علماء التفسير واللغة قد ذكروا لها معاني وعللا كثيرة
نأتي على أشهرها :

قال ابو علي محمد بن المستنير النحوي المشهور بقطرب : كان
العرب ينفرون عند استماع القرآن ، فلما نزلت « اَلَمْ .
الْمَ ص » استنكروا هذا اللفظ وتاقت نفوسهم الى تعرف
ما يتلوه من الكلام وتفهم ماضمته من المعاني والاعراض فاما
انصتوا اقبل عليهم النبي بالقرآن المؤتلف ليثبته في اسماعهم
وآذانهم ويقيم الحجة عليهم اه . فعلى هذا يكون القرآن جاء
بهذه الالفاظ ليستدرج العرب استدراجاً حتى يقبلوا عليه
ويستمعوا له ، والمتبع لأساليب كلام العرب يجد انهم قد

يأتون بالحرف او الاحرف لا لغرض سوى هذا التنبيه، واكثر ما يستعمل هذا في مخاطبة الغافلين او الجاهلين المغرضين ، ومن هذا استعمال (ها) للتنبيه ، و (ها) في ايها ، و (ما) الزائدة في نحو (فبما رحمة من الله لنت لهم) ، فاذا سمع انسان هذه الحروف ولم يفقه لها معنى توجهت نفسه الى تعرف ما بعدها لعله يجد فيه ما يدل على ما اريد منها ، ومن هنا ينصرف بجميع قلبه الى ما يتلوها لعله يهتدي بعد ان ذهب فيها كل مذهب ، فاذا سمعه وتدبره كان حقيقاً ان يهتدي بشيء من هديه ، ولولا ذلك لاعرض عنه ونأى بجانبه ، ولما كان لشيء من آياته سلطان على قلبه ولا اثر في نفسه

وقيل ان الله تعالى قد اقسام بهذه الحروف لعظمة شأنها وشرف مكانها ، لأنها ابسط عناصر الكلام ، وهو اجلى واسطة للتفاهم ، ثم هي ابسط عناصر الكتابة ، وهذه اقوى اداة يستعين بها الانسان في حياته العامة والعملية ، والكلام والكتابة هما من ارتقى ما يمتاز به النوع البشري . ومن هنا يتضح ان القسم بهذه الحروف بمثابة القسم باهم عناصر العلم ،

وشرفها معقود بشرف ما يتركب منها ، وما تقوم به من
الوظائف ذات الشأن . وقد اقسام الله تعالى بالكتابة واخص
ادواتها فقال : (ن والقلم وما يسطرون) وهل يسطرون إلا
الحروف الدالة على الالفاظ الدالة على المعاني ، ومما يشير الى صحة
هذا انه لم تفتتح سورة بشيء من هذه الحروف إلا جاء بعدها
ذكر الكتاب او ما يشير اليه او ما يتعلق به ، فقد جاء في
القرآن الكريم تسع وعشرون سورة مفتتحة بهذه الحروف ،
ثلاث منها غير مردوفة بذكر الكتاب او ما يتعلق به وهي :
(مريم . والعنكبوت . والروم) والست والعشرون الباقية
كلها مردوفة به او بما يشعر اليه ، كما تراه في مفتتح (ا لم
ذلك الكتاب . ا لم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك
الكتاب بالحق . الم اص كتاب انزل اليك . الر تلك آيات
الكتاب . طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى . طسم تلك آيات
الكتاب . يس والقرآن الحكيم . ص والقرآن ذي الذكر .
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ق والقرآن المجيد)
وكذا البواقي ، ولا شك في ان الجمع بين هذه الحروف

والكتاب العزيز انما هو جمع بين ابسط عناصر القول واعلى مرتبة من سراتبه ، فهو جمع بين طرفي البداية والنهاية ، وفي هذا ما فيه من تعظيم العلم بتعظيم آله ، ثم ان في ذلك تنبيهاً الى ان القرآن ليس إلا من هذه الحروف التي يتركب منها كلام العرب فمعجزهم عن مساواته والاتيان بمثله بل بسورة من مثله داييل على كونه من عند الله لا من عند البشر

ثم ان من يستقري الحروف التي وردت في الفوايح يجد انها تشير الى طريقة تعليمية بدیعة ، وذلك انها نصف حروف المعجم التي اذا تعلم المرء كتابتها يصبح كأنه قد تعلم كتابة حروف المعجم باجمعها ، فمن عرف كتابة الصاد مثلاً فقد عرف كتابة الضاد ، ومن عرف كتابة الطاء فقد عرف كتابة الظاء ، ومن عرف كتابة الحاء فقد عرف كتابة الجيم والحاء وقس على ذلك غيره .

ثم ان هذه الحروف الاربعة عشر انصاف انواع الحروف الهجائية ، ففيها نصف المهموسة (ص . ك . هـ . س . ح) ، ونصف المجهورة (ا . ل . م . ر . ع . ط . ق . ي . ن) ،

ونصف الشديدة (ا . ك . ط . ق ،) ونصف الرخوة (ل .
 م . ر . ص . ه . ع . س . ح . ز . ي) ، ونصف المطبقة
 (ص . ط) ، ونصف المنفتحة (ا . ل . م . ر . ك . ه .
 ع . س . ح . ق . ن . ي .) ، ونصف المستعملية (ق ص ط) ،
 ونصف المنخفضة (ا . ل . م . ر . ك . ه . ع . س . ح .
 ن . ي) ، ونصف القلقة (ق . ط) . فيظهر من هذا ان من
 اتقن النطق بهذه الحروف معطياً كل حرف ما يستحقه من
 هذه الصفات فقد اتقن النصف الآخر الذي لم يرد في الفوائج ،
 فكأن الله تعالى اشار بهذا الى وضع اسلوب علمي مبتكر
 لتسهيل تعليم الكتابة والقراءة وتقريبها من متناول الاميين ،
 وفي هذا ما فيه من الفوائد ولا سيما بعد ان علمنا ان القرآن
 نزل بين ظهري امة امية ، وهل تعالج ادواء الأمية بانجع من
 امثال هذا الاسلوب التعليمي البديع .

قال الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي في تفسير سورة لقمان
 عند قوله تعالى « أم . تلك آيات الكتاب الحكيم » هذه
 اسماء للحروف التي تتركب منها الكلمات ، وقد اختلف

المفسرون في المراد منها في فوائح السور ، ففيل هي من المتشابه
الذي استأثر الله بهامه . وروي عن ابى بكر الصديق رضي الله
عنه انه قال : لكل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور .
والحكمة في بدء السور بها وان لم يفهم المراد منها ان قرع
السمع في اول الكلام بما يعي النفوس فهمه دافع لها ان
تلتفت وتصغي وتزيد يقظتها وتستقصي في التأمل ، فيزداد
بذلك انتفاعها بتفهم ما يلقي عليها ، وذلك ان النفوس مولعة
بتتبع ما لم تفهمه ، والاستقصاء في البحث عنه ، فلا تزال تردد
ذهنها فيه ، وكلما ازدادت تأملا ازدادت من فوائده استنباطاً
وانتفاعاً ، والقرآن لا تنقضي عجائبه كما روى ذلك عن علي كرم
الله وجهه ، وايضاً في احتواء القرآن على ما لم يفهم ، وهو
معنى المتشابه في رأي الكثير اختبار للايمان بالغيب الذي
امتدح الله عز وجل صاحبه ، فهو في الاقوال بمنزلة التكليف
بما لم تعرف حكمته تفصيلاً من الافعال كرمي الجمار في الحج
يختبر به رسوخ الايمان في النفوس وقوة اعتقادها بحكمة
الامر ، فهي تطيعه فيما فهمت حكمته وفيما لم تفهم ، وهي تؤمن

بان ما انزل الله على يد الصادق المصدق هو من عند الله سواء
فيما فهمته وفيما لم تفهمه ، وهذا لا يكون الا حيث يرسخ
الايمان بصدق المبلغ في النفس رسوخاً لا ينزله تعاصي فهم
بعض ما بلغ قياساً له على ما ملأها يقيناً وایماناً .

ومن حكمته ايضاً انه يوجه نفوس المعرضين الى الاستماع ،
فيهجم عليهم مما يليه من آيات الكتاب الحكيم ما يملك عليهم
حواسهم ، ويجذب الى الهدى نفوسهم ، فقد كانوا يقولون
بعضهم لبعض : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، فلما
انزلت السور المبدوءة بحروف الهجاء ، وقرع سمعهم ما لم
يألفوا ، التفتوا واذا هم امام آيات بينات استهوت قلوبهم
وجذبت اليها عقولهم ، فكان يؤمن من اراد الله له الايمان ،
ويقترب من الايمان من شاء الله تأخيره الى اوان ، وتقوم
الحجة في وجه اهل العناد والطغيان .

وقيل : بل المعنى المقصود منها معلوم ، وكونها من
المتشابه لا يمنع ذلك ، فالمتشابه يعلمه الله والراسخون في العلم ،
فان الوقف في آية آل عمران وهي قوله تعالى « وما يعلم

تأويله الا الله والراسخون في العلم « هو على قوله :
« في العلم » قالوا والا كان القرآن مشتملا على ما لم يفهم
معناه ، فلم يكن تبليغا وهدى ، ولم يكن بلسان عربي مبين ،
ولم يصلح جميعه للتحدي به ، فانه لا يتأتى التحدي بما لم يفهم ؛
وعلى هذا قيل : انها اسماء للسور المبدوءة بها ، ولا يضر
اشتراك مسميات عدة في اسم واحد ، كما يسمى جماعة كل
منهم بمحمد او عبد الله مثلا ، ويكون التمييز بينها باضافة
كلمة اخرى نحو : ألم البقرة ، وألم آل عمران ، وألم لقمان ،
وهكذا ، فطه ، وطس ، ويس ، وق ، ون ، كلها اسماء للسور
المبدوءة بها ، ولا يضر ان تسمى السورة باول كلمة منها
لتعرف به وقيل : بل هي أسماء للحروف التي يدل عليها التهجى
وانما ذكرت لبيان ان ما سيتلى عليهم ويعجزون عن معارضته
هو مؤلف مما تناله قدرهم ويبدور دائماً على السنتهم ، فلا
تعاصي في مادته على أحد منهم ، فاذا عجزوا عن تأليف هذه
المادة الميسورة تأليفاً يضاهي ما انزل اليهم وقد زعموا انهم
امراء الكلام وفرسان البيان تمت عليهم الحججة بانه ليس من

تأليف البشر ، ووجب ان يعترفوا بانه من عند الله الحكيم
العليم . وقيل : بل اشارة الى اسماء وصفات ، فالالف اشارة
الى لفظ الجلالة (الله) ، واللام اشارة الى اسمه تعالى
(لطيف) ، والميم اشارة الى اسمه تعالى (الملك) او الالف
اشارة الى الله ، واللام اشارة الى جبريل ، والميم اشارة الى
محمد ، وكان المعنى : الله نزل جبريل بالوحي الى محمد .

وقال الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسيره لسورة

آل عمران :

فاعلم ان القرآن كتاب سماوي والكتب السماوية تصرح
تارة وترمز أخرى ، والرمز والاشارة من المقاصد السامية
والمعاني العالية والمغازي الشريفة ، وقديماً كان ذلك في اهل
الديانات ، ألم تر الى اليهود الذين هم كانوا منتشرين في
المدينة وفي بلاد الشرق ايام النبوة كيف كانوا يصطلحون
فيما بينهم على اعداد الجمل المعروفة اليوم في الحروف العربية
فيجعلون الالف بواحد والباء باثنين والجيم بثلاثة والdal
باربعة وهكذا مارين على الحروف الابجدية الى الياء بعشرة

والسكاف بعشرين وهكذا الى القاف بمائة والراء بمائتين وهكذا الى الغين بالف كما ستراه في هذا المقام ، كذلك ترى ان النصراني في اسكندرية ومصر وبلاد الروم وفي سوريا قد اتخذوا الحروف رموزاً دينية معروفة فيما بينهم ايام نزول القرآن وكانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية في مصر ، وكانوا يرمزون بلفظ (اكسيس) لهذه الجملة ، يسوع المسيح ابن الله المخلص ، فالالف من اكسيس هي الحرف الاول من لفظ (ايسوس) يسوع ، والسكاف منها هي الحرف الاول من (كرسطوس) المسيح ، والسين منها هي حرف الثاء التي تبدل منها في النطق في لفظ (ثبو) الله ، والياء منها تدل على (ايوث) ابن ، والسين الثانية منها تشير الى (ثوتير) المخلص ومجموع هذه الكلمات يسوع المسيح ابن الله المخلص ، ولفظ اكسيس اتفق انسه يدل على معنى سمكة ، فاصبحت السمكة عند هؤلاء رمزاً لاهمهم ، فانظر كيف انتقلوا من الاسماء الى الرمز بالحرف ومن الرمز بالحروف الى الرمز بحيوان دللت عليه الحروف . قال الحبر الانكليزي صموئيل مونتج :

انه كان يوجد كثيراً في قبور رومة صور السمك صغيرة مصنوعة من الخشب والعظم وكان كل مسيحي يحمل سمكة اشارة للتعارف فيما بينهم. اهـ. فاذا كان ذلك من طبائع الامم التي احاطت بالبلاد العربية وتغلغلت فيها ونزل القرآن لجميع الناس من عرب وعجم كان لا بد ان يكون على منهج يلد الامم ويكون فيه ما يالفون ، وستجد انه لانسبة بين الرموز التي في اوائل السور وبين الجمل عند اليهود ورموز النصارى إلا كالنسبة بين علم الرجل العاقل والصبي ، أو بين علم العلماء وعلم العامة . فبهذا تبين لك ان اليهود والنصارى كان لهم رموز وكانت رموز اليهود هي حروف الجمل .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : مرّ ابو ياسر بن أخطب برسول الله ﷺ وهو يتلو سورة البقرة : ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه) ثم أتى أخوه حيّ بن أخطب وكعب بن الاشرف فسألوه عن (ألم) وقالوا نندشك الله الذي لا إله إلا هو أحق انها أتتك من السماء ؟ فقال النبي ﷺ : نعم كذلك نزلت . فقال حيّ : ان كنت صادقاً اني لاعلم أجمل

هذه الامة من السنين ، ثم قالوا كيف ندخل في دين رجل
دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان ينتهي أجل امتيه
احدى وسبعون سنة ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال حي :
فهل غير هذا ؟ فقال نعم (المص) فقال حي : هذا اكثر من
الاول ، هذا مائة واحدى وستون سنة ، فهل غير هذا ؟
قال نعم (الر) فقال حي : هذا اكثر من الاولى والثانية
فنحن نشهد ان كنت صادقاً ماملكت امتك إلا مائتين
واحدى وثلاثين سنة ، فهل غير هذا ؟ فقال نعم (المر) قال
حي فنحن نشهد انا من الذين لا يؤمنون ولا ندري بأي
اقوالك نأخذ . فقال أبو ياسر أما انا فأشهد على ان انبياءنا
قد اخبرونا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا انها كم تكون
فان كان محمد صادقاً فيما يقول اني لاراه سيجتمع له هذا
كله ، فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا امرك كله فلان ندري
أبالقليل نأخذ أم بالكثير . فبهذا تعرف ايها الذكي ان الجمل
كانت للتعريف عند اليهود وهو نوع من الرموز الحرفية
فكانت هذه الحروف لا بد من نزولها في القرآن ليأخذ الناس
في فهمها كل مذهب وتتصرف الفكر فيها .

ولأقتصر لك مما قرأته على ثلاث طرائق فيما ترمنز اليه
هذه الحروف :

(الطريقة الاولى) : ان تكون هذه الحروف مقتطعات
من اسماء الله كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال :
الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ، وعنه ان (الر)
و (حم) و (ن) مجموعها الرحمن ، وعنه ان (الم) معناه
أنا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفوايح ، وعنه ان الالف من
الله واللام من جبريل والميم من محمد أي القرآن منزل من الله
بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام . أقول ان ابن
عباس رضي الله عنهما انما اراد بذلك ان تكون الحروف مذكرة
بالله عز وجل في اكثر الاحوال وذكر الله أجل شيء ، ويرجع
الامر الى انها اسماء مرموز لها بالحروف كما تقدم عن الامم
السالفة من النصارى في اسكندرية ورومة ، ولكن لا بد ان
يكون هناك ماهر أعلى وأعلى .

(الطريقة الثانية) : ان هذه الحروف من اعجب المعجزات
والدلالات على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مما ترضاه النفوس ،

ألا ترى ان حروف الهجاء لا ينطق بها إلا من تعلم القراءة وهذا النبي الامي ﷺ قد نطق بها ، والذي في اول السور ١٤ حرفاً منها وهي ٢٨ حرفاً ان لم تعد الالف حرفاً برأسه و ١٤ نصفها ، وقد جاءت في ٢٩ سورة وهي عدد الحروف الهجائية اذا عدت فيها الالف ، وقد جاء من الحروف المهموسة العشرة وهي (فحثه شخص سكت) بنصفها وهي : الحاء والهاء والصاد والسين والكاف .

ومعلوم ان الحروف إما مهموسة وهي ما يضعف الاعتماد عليها وهي ما تقدم ، واما مجهورة ١٨ نصفها ٩ وهذه التسعة ذكرت في فوائح السور ويجمعها (لن يقطع امر) والحروف الشديدة ثمانية وهي (اجدت طبقك) واربعة منها في الفوائح وهي (اقطك) والحروف الرخوة عشرون وهي الباقية نصفها عشرة وهي في هذه الفوائح يجمعها (حمس على نصره) والحروف المطبقة اربعة (الصاد والضاد والطاء والظاء) وفي الفوائح نصفها (ص ط) وبقية الحروف وهي اربعة وعشرون حرفاً تسمى منفتحة ونصفها وهو ١٢ في الفوائح . فالنظر كيف

أتى في هذه الفوائح بنصف الحروف الهجائية ان لم تعد الألف
وجعلها في ٢٩ سورة عدد الحروف وفيها الألف ، وكيف أتى
بنصف المهموسة ونصف المجهورة ونصف الشديدة ونصف
الرخوة ونصف المطبقة ونصف المنفتحة ، ولقد ذكرت لك
قلًا من كثير مما ذكره العلماء في هذا المقام ولا اطيل عليك خيفة
السامة والملل وكفاك ما امليته عليك في هذه الطريقة الثانية
لتعرف كيف أتى بهذه الأوصاف وكيف وضعت الحروف على
هذا النظام ، إني موقن ان المتعلم لو طلب منه ان يأتي بهذه
الحروف منصفة على هذا الوجه ما استطاع لذلك سبيلا فانه
ان راعى نصف الحروف المطبقة فكيف يراعى الحروف
الشديدة وكيف يراعى نصف المجهورة في نفس العدد ، ان
ذلك دلائل على صدق صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ففائدة هذا
الوجه اهم من الوجه الاول فالاول فائدته تذكير الانسان
باسماء الله تعالى واما الوجه الثاني ففيه اعجاز للعقول وحيرة
فيقال كيف تنصف الحروف الهجائية وتنصف انواعها من
مهموسة وشديدة الخ وهذه الانواع لم يدرسها احد في العالم

ايام النبوة ولما ظهرت وافقت تلك الحروف بانصافها ان ذلك
ليعطي العقول مثلاً من الغرابة الدالة على ان هذا لا يقدر
عليه المتعلمون فاذن هو من الوحي وهذا الوجه على قوته
يفضاه ما بعده .

(الطريقة الثالثة) : ان الله تعالى خالق العالم منظماً محكماً
متناسقاً متناسباً والكتاب السماوي اذا جاء مطابقاً لنظامه
موافقاً لا بداعه سائراً على منهجه دل ذلك على انه من عنده
واذا جاء الكتاب السماوي مخالفاً لتهجه منافراً لفعاله منحرفاً
عن سنته كان ذلك الكتاب مصطنعاً مفتعلاً متقولاً مكذوباً
(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

والعالم المشاهد فيه عدد (٢٨) في :

(١) مفاصل اليدين في كل يد ١٤

(٢) وفي خرزات عمود ظهر الانسان منها ١٤ في اسفل

الصلب و ١٤ في اعلاه

(٣) خرزات العمود التي في اصلاب الحيوانات التامة الخلقه

كالبقر والجمال والحمر والسباع وسائر الحيوانات التي

تلد وترضع اولادها منها ١٤ في مؤخر الصلب و ١٤
في مؤخر البدن

(٤) وهكذا عدد الريشات التي في اجنحة الطير المعتمدة

عليها في الطيران فانها ١٤ ظاهرة في كل جناح

(٥) وعدد الخرزات التي في اذنان الحيوانات الطويلة

الاذنان كالبقر والسباع

(٦) وعمود صلب الحيوانات الطويلة الخلقة كالسمك

والحيات وبعض الحشرات

(٧) وعدد الحروف التي في لغة العرب التي هي أتم اللغات

(٢٨) حرفاً منها (١٤) يدغم فيها لام التعريف وهي

ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن و ١٤ لا تدغم

فيها وهي ا ب ج ح خ ع غ ف ق ك م ه و ي .

(٨) والحروف التي تخط بالقلم قسماً منها (١٤) معلم

بالنقط ت ث ج خ ذ ز ش ض ط غ ف ق ن و ١٤

غير معامة وهي ا ح د ر س ص ط ع ك و ه ل لا .

وهذا الحرف هو الالف التي هي من حروف العلة اما

الأولى فهي الهمزة فهذه ١٢ حرفاً بقيت الياء وهي تنقط في وسط الكلمة ولا تنقط في آخرها فاصبحت الحروف المعجمة ١٤ وغير المعجمة ١٤ والحرف التاسع والعشرون معلم وغير معلم لتكون القسمة عادلة، والفضل لهذا العدل للحكيم الذي وضع حروف الهجاء العربية فانه كان حكيماً والحكيم هو الذي يتشبهه بالله بقدر الطاقة البشرية وهذا جعل ٢٨ حرفاً مقسمة قسمين كل منها ١٤ كما في مفاصل اليدين وفقرات بعض الحيوانات (٩) ومنازل القمر ٢٨ منزلة في البروج الشمالية ١٤ وفي البروج الجنوبية ١٤ فهذا يفيد ان الموجودات التي عددها ٢٨ تكون قسمين كل منها ١٤ فهكذا هنا في القرآن جاءت الحروف العربية مقسمة قسمين منها ١٤ منطوق به في اوائل السور ، وقسم منها غير منطوق به في اوائلها، وكأنه تعالى يقول : أي عبادي ان منازل القمر ٢٨ وهي قسمان ، ومفاصل الكفين ٢٨ وهي قسمان وهكذا ، والحروف التي تدغم في حرف

التعريف وهكذا التي هي معاملة كل منها ١٤ وضدها
١٤ فلتعاموا ان هذا القرآن هو تنزيل مني لاني
نظمت حروفه على النمط الذي اخترته في صنع المنازل
والأجسام الانسانية والاجسام الحيوانية ونظام
الحروف الهجائية فمن اين لبشر كمحمد أو غيره ان
ينظم هذا النظام ويحيل هذه الاعداد موافقة للنظام
الذي وضعته والسنن الذي رسمته والنهج الذي سلكته ،
ان القرآن تنزيل مني وقد وضعت هذه الحروف في
اوائل السور لتستخرجوا منها ذلك فتعاموا اني
ما خلقت السماوات والأرض وما بينهما باطلا بل جعلت
النظام في العالم وفي الوحي متناسبا وهذا الكتاب
سيبقى الى آخر الزمان ولغته ستبقى حية معه الى آخر
الأجيال ، ان اللغات متغيرة وليس في العالم لغة تبقى
غير متغيرة الا التي حافظ عليها دين وهل غير اللغة
العربية حافظ عليها دين .

القسم في القرآن

القسم : ضرب من ضروب التأكيد والتوفيق في الكلام يؤتى به لتقوية الخبر وتحقيقه . وللتأكيد في الكلام صيغ وعبارات ودرجات هي من أدق اساليب البلاغة .

ان القرآن الكريم قد جاء على اسلوب كلام العرب الذي يكثر فيها القسم ، ولكن اقسام القرآن قد امتاز بها على سائر الكلام العربي بما فيها التناسب والملاءمة للمقسم عليه المقصود بالتأكيد لتقرير الاخبار في النفوس وتثبيتها في الازهان .

وقد جاء القسم في القرآن على ضروب شتى :

فمن القسم بذاته تعالى وصفاته ، الى القسم بالنفس وما سواها ، وباليوم الموعود ، وبالقوى الروحانية الصالحة ، وبحياة الرسول الكريم ، وبالقرآن العظيم ، الى القسم باظهر ما يقع عليه الحس او يدركه العقل من نماذج البدائع الكونية الدالة على عظمة المبدع وبالغ حكمته ، فاقسم تعالى بالسماء وما بناها ، والشمس والقمر والنجوم والفجر والصبح والضحى

والعصر والليل والنهار والليالي العشر والشفع والوتر ، وبالارض
وبحارها وجبالها ، والبلد الامين والبيت المعمور ، وبالرياح
المرسلات ، والذاريات النائرات ، والسحب والامطار ، وبالوالد
وما ولد ، وبالقلم وما يسطرون ، وبما يبصرون ومالا يبصرون
وتوجد مناسبات بين المقسم به والمقسم عليه ، وهذا النوع
من التناسب بين أجزاء القول من اسمى ضروب البلاغة التي
ترفع من قدر الكلام وتزيد في مائه وروائه وبهائه .

اقسم تعالى بالتين والزيتون وطور سينين والبلد الامين
فقال تعالى « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم . . الخ » ليبين للناس
مكانتها وعظم نفعها ونعمة الله عليهم فيها . وليس المراد القسم
بالمطعموم والمأكول بل القسم بمنابت التين والزيتون وهي
فلسطين ، فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى
ومنشؤه ، فالكلام على حذف مضاف ، أي منبت التين
والزيتون ويؤيد ذلك ما ورد بعدها وهو قوله تعالى (وطور
سينين وهذا البلد الامين) لأن المراد من الطور المكان الذي

نودي منه موسى عليه السلام، والبلد الامين هو المسكان الذي ظهرت فيه دعوة الاسلام وولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم. وانما اقسام تعالى بهذه الاماكن ليبين انها من البقاع التي انبثق منها نور النبوة والهدى على العالمين ولما لها من المنزلة في نفوس المؤمنين من جميع الاقوام .

واقسم تعالى بالقلم وما يسطرون فقال « ن . والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون » لان المشركين قد كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم (يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) وقد جاء الجواب بالسلب المؤكد فاقسم تعالى ببسط عناصر القول وهي حروف الهجاء ، وباخص ادوات العلم وهو القلم وبالعلم نفسه على تنزيه محمد صلى الله عليه وسلم عما رموه به ، لان هذه كلها من خصائص الانسان العاقل بل هي من اجلي مزاياه واسماها .

واقسم تعالى بالضحى والليل اذا سجى فقال (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) فكان القسم بالضوء في شباب النهار وبالظلام عندما يضرب على الارض بجرانه انه لم يهمل امرك يا محمد ولم يبغضك .

وقد جاء هذا القسم رداً على اعدائه عليه الصلاة والسلام
حينما قالوا (ان ربه ودعه وقلاه) على اثر تخلف الوحي عن
الرسول الكريم بضعة عشر يوماً فاشتد حزنه عليه الصلاة
والسلام .

وان الصلاة وثيقة بين الضياء والوحي بقدر وثوق الصلاة
بين الظلام وانقطاع الوحي ، وفي هذا اشارة الى ان الوحي
وعدمه يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار .

واقسم تعالى بالنجم المنير الذي لا يضل السبيل وبه يهتدي
السارون في ظلمات البر والبحر بقوله : (والنجم اذا هوى
ما ضل صاحبكم وما غوى) . ان محمداً عاياه الصلاة والسلام
على أهدي السبل واقصرها ، فكما ان المهتدي بالنجم عند
انحداره في سيره لا يضل فكذا الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه قد
انتهج انهبج الطرق واقومها لهداية البشر .

وقال تعالى (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو
تعلمون عظيم انه لقرآن كريم) اذ النجم من اعلام الاهتداء
في العاديات ويضرب به المثل في الرفعة وعلو المنزلة ، والقرآن
علم الهداية في المعنويات وفي المسكاة التي لا تسامى .

وقال تعالى (فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل
اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم) . فاقسم
تعالى بالدراري التي نراها ونحن على الارض نجري مع الشمس ،
ثم نراها راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ، واردف ذلك
بالليل عند ادباره والصبح عند اقباله ، وذلك لتثبيت ان القرآن
وحي الهى يستضاء بنوره لمعرفة مالا تستقل العقول بادراكه
(وانزلنا اليكم نوراً مبيناً)

وقال تعالى (والذاريات ذرواً فالحاملات وقرأاً فالجاريات
يسراً فالمنسلمات امرأ ان ما نوعدون لصادق وان
الدين لواقع) . فاقسم بالريح التي تذر البخار فينمقد سبحانه
تحمله فتجري به في اجواز الفضاء وتوزعه على مختلف البقاع على
صدق الموعود من البعث والنشور والحساب فالثواب او العقاب
وفي هذا تمثيل للبدء والعود ، فقطرة الماء بعد ان تتفرق
ذرات دقيقة وتتبعثر في متايه الفضاء ترجع الى سيرتها الاولى
من جديد فتتحد الى اهارها فبحارها وان طال عليها الزمن ،
كذلك حال الانسان (كما بدأكم تمودون)

وقال تعالى (والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات
 نشرأ فالنفارات فرقا فالملقيات ذكراً عذراً او نذراً ان
 ما توعدون لواقع) . فالرياح هي التي تبشر بالمطر قبل نزوله
 كما تنذر بكثير من العوارض الجوية ، والمرسلات الرياح
 الطليقة : والعرف التابع ، والعاصفات الشديدة ، والناشرات
 الرياح تثير ذرات الماء فتندشرها في الفضاء ، والنفارات
 المقسمات ، ذكر تعالى هذه كلها لينبه الى ان ما وعد به الانسان
 من نعيم وعقاب وحشر ونشر لواقع وهو ملاقيه

واقسم تعالى بالزمن وابعاضه كالليل اذا يغشى والنهار اذا
 تجلى ، فقال تعالى (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق
 الذكر والاثنى ان سعيكم لشتى) ليدل بذلك على ما لهذا الزمن
 عند الله من مكانة تفهم الانسان انه ما خلق هذا الزمن عبثاً
 وما انعم الله به عليه ليشغله بالهوى واللعب ويقطعه بالهزل
 والسخرية وزور القول ومنكره بل ليشغله بعبادة الله المنعم به
 وعمل ما ينفعه ويفيده فان الله جاعل في مقابلة هذا الزمن القليل
 حياة آخرة ابدية لا تقنى ولا تنتهي ، فكل لحظة من زمن

الانسان وعمره هنا يقابلها آلاف السنين بل اضعاف ذلك في جنات تجري من تحتها الانهار — او نار وقودها الناس والحجارة ، فما كان هذا شأنه كان جديراً بان يقسم الله به ليرد الالهين اللاعبين فيه عن غيرهم واضاعتهم لهذا الوقت الثمين . ويرد ايضاً على من ينسب الى الزمن النحس والشر والفساد فيسبه ويقول هذا زمن سوء وفساد وما الى ذلك مما هو من عمل الانسان وسوء تقديره ، ولا عيب على الزمان ولا ذنب له في فساد الانسان وسوء عمله ، وليذبه على ما في هذا الزمن من عظيم آيات الله الدالة على بليغ قدرته وبديع حكمته ، فانه قسمه الى ليل ونهار وظلمة وضياء وجعل في النهار الشمس سراجاً وفي الليل القمر نوراً وفي تعاقبها وعدم ادراك احدهما الآخر أجل الآيات وابلغها لقوم يفقهون . (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قد رنا مناظرنا منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)

وان في مرور الليل والنهار واعتدالهما تارة واخذ احدهما
من صاحبه تارة ، واختلافهما في الحر والبرد والربيع والخريف
والشتاء والصيف ، وانتشار الحيوان وسكونه وانقسام العصر
الى سنين وشهور والايام والساعات ان في كل ذلك لآيات
لقوم يعقلون . (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً
الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون .
قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة
من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون)
(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

قال الشيخ عبدالعزيز جاويش :

اعلم ان استعمال القسم في سائر اللغات مقاصد عدة
تختلف صورته باختلافها وتتنوع صيغته طبقاً لها وليس هذا
من خصائص اللغة العربية بل يشار كها في ذلك سائر اللغات
العالية بل واللهجات الدنيا والرطانات البربرية فتجد الناس في
كل مكان يحلفون برؤوس آبائهم وبشرف أنفسهم وبقديم مجدهم

وبقبور اقربائهم وبعيون احبائهم وكذلك نجدهم يخلفون برأس المخاطب ولحيته وشرفه وبما يعز عليه من اولاده واحبته وهلم جرا .

والدارسون لغير اللغة العربية يشهدون معنا ان هذه الاقسام لم تكن مقصورة على القرآن ولا خاصة بلغة العرب ، ولكن لامراء ان العرب يتوسعون فيها كثيراً ويستعملونها في موطن لا تقع لغيرهم من اصحاب اللغات الأخرى فهم في كثير من موطن التأكيد لا يكاد يخلو كلامهم من الاقسام بعزير عليهم أو شيء ذي بال لديهم . الى ان قال :

واذا عامت مما اسلفنا ان القرآن الكريم نزل بلسان العرب ادركت بكل وضوح وجللاء سر ماجاء فيسه من الاقسام . فالقرآن الكريم في موطن التأكيد والتنبيه واستمالة المخاطبين الى القول بما يقصه من الاخبار وما يأتي به من الاحكام يسلك سائر مسالك العرب في ايمانهم مطابقة لمقتضيات الاحوال وجرياً على سنة اهل ذلك اللسان .

ومن العبث والهوس ان يتساءل الناس كيف يخلف الله

بخلقه وهو لا يرجوهم ولا يخشاهم ، أو كيف يحلف بغيره وهو الذي حرم الحلف بغير اسمه الشريف ، أو كيف يحلف الله على ما يقص من الاخبار وهو اصدق القائلين الى نحو ذلك مما ملأ به المفسرون كتبهم من ضروب الشكوك وصنوف الاشكال ، فاذا جرت الاقسام في سور القرآن وآياته فانما ذلك لمعان اقتضيتها البلاغة واستلزامتها الصناعات ونوعت صيغها وصورتها اسبابها المتنوعة وصراميتها المختلفة .

فالقرآن الكريم لاسباب بلاغية يقسم بذات الله وبرسوله وبالتيقن والزيوتون والطور والصفات والزاجرات والشمس والقمر والنجم والليل والعصر والقلم وما يسطره وبالسماء والارض والنفس وهكذا ... اهـ

وقال الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهرى :

ان الله اقسام باشيء مما خلق وعمد الى ما جعل شكله وعظم نفعه وبهر حسابه فعدده في اقسامه .

ولعمري أن النوع البشري لن يقسم إلا بمعظم لديه أو بمسيطر عليه . يقول الولد وحق والدي ، وتقول الرعية ورأس

فلا ان الحاكم ، والجندي يقسم بشرف الجنديّة ، ويقسم الوزراء بالملوك ، ونسمع الرجل يحلف بعينه لما يرى من منفعتهما وزينتهما. وقد اقسام الله باشياء عددها وصنوف من نعم ابدعها كالشمس والقمر والكواكب ولم يكن ذلك خوفاً منها فانه الخالق لن يهاب ما خلق ولن يحتاج لما ذرأ وأبدع . أقسم بها إذ رأى نوع الانسان يقسم بما عظم نفعه وعز عليه فلقّتهم وايقظهم الى ما ذرأ ونهّهم الى مصنوعاته ليعرفوها فلم يرد أن يعبدوها إذ لا إله إلا الله ، فلاقسام بها يرجع الى عزتها وشرفها ولم يكن ذلك لتحرّيبهم على الحصول عليها بوجودها في حوزتهم فذلك مستحيل فرجع الامر الى العلم وفات الانسان أن يملك هذه العوالم ويسيطر عليها إذ لا سلطان إلا لواحد هو الله فكان المقصود من الاقسام في حقهم ان يعرفوا جلاله ما يصنع ويتبعوا حركات الافلاك وعلوم الضوء وحسابه والمشارك والمغرب ويشرحوا تلك الاجسام ويلاحظوا حركاتها وسكناتها لترقى نفوسهم الى علوها وشرفها ، فتراه عز شأنه أقسم بالفجر والفلق (وهو الصبح) والشمس والضحى

والنهار والعصر والليل اذا يفتشى (يفتي) المخلوقات كأنه
 ملاءة منشورة عليهم والليل اذا يسري يسير حول الكرة
 الارضية تابعاً النهار - والنهار يتبعه ، واقسم بالليالي العشر
 في اول كل شهر عربي لغلبة ظلامها على ضوءها ، واقسم
 بالنجم اذا هوى تنبيهاً على مغارب النجوم وايقاظاً لها ،
 واقسم بمواقع النجوم واما كتبها الواقعة فيها ودوائرها ، ثم
 اعقبه بقوله وانه لقسم لو تعاملون عظيم ، فاذا اقسام وعظم
 القسم فهل يكون ذلك إلا للفت النفوس اليها لتعرف مواقعها
 وقياسها وابعادها وحركاتها وسكناتها ، وقال (اقسام برب
 المشارق والمغرب) أي محل الشروق والغروب ، واقسم بالشفق
 وبالليل وبما وسق الليل أي جمع ، واقسم بالقمر وبالسماء ذات
 البروج تنبيهاً لمعرفتها لتعرف السنوات والشهور والايام ،
 واقسم بالسماء ووصفها بانها ذات الحبك أي طرف النجوم
 وبالقمر اذا اتسق امتلاً بالنور ، واقسم بالسماء وبمن بناها ،
 واقسم بالنازعات غرقاً وهي النجوم التي ترمي شهباً عن دوائرها
 المشبهات للقوس فكان النجم انسان والدائرة قوس والشهاب

الساقط سهم ، وذكر انها نشطات في سيرها مسرعات فيه تم دورتها سريعاً (فالمدبرات امرأ) وهي هذه النجوم لأنها بها يتم تدبير العالم ، فذكر هذه الكواكب والموالم ومواقعها ليحرض السامعين على البحث عنها فيعرفون الفلك والميقات وحساب الكواكب وابعادها واجرامها وتحليلها واعدادها بقدر الاستطاعة ويبحثون عن الضوء في الطبيعة . ثم ان الله تعالى اقسام بذكر اشياء اخرى مما تحت الفلك واحاط بالكرة الارضية فاقسم بالرياح الداريات والجبالي فقال (والداريات ذرواً فالحاملات وقرأ) أى الرياح التي تحمل السحاب وتذروا الاشياء . واقسم بالارض وماطحها ، فالارض مفهومة وطحوها دحوها وتسويتها واتقانها ، واقسم بالجبلي فقال (وطور سينين) وبالنبات فقال (والتين والزيتون) وبالبلد الذي خرج منه سيدنا محمد ﷺ فقال (وهذا البلد الامين) واقسم بالخليل فقال (والعاديات ضبحاً) اي الخيل التي تعدو وهي تضبح في الجري ضبحاً ، واقسم بكل ما يحس فكأنه اقسام بكل محسوس وبكل ما يحس به وكأنه اقسام

بالناطق والصامت فقال (وشاهد ومشهود) واقسم بيوم
القيامة ويوم الجزاء ويوم الميعاد الذي سيجازي فيه الناس ،
واقسم بالكتب المسطرة المنشورة وهي ما يقرؤه الناس ،
واقسم بالبحر ثم عمم القسم بكل ما خلق فقال (اقسم بما
يبصرون وما لا يبصرون) فكأنه اقسم بكل شيء . اذاً العالم
قسمان : ما يبصر وما لا يبصر ، وجاء بتعميم آخر فاقسم
بالشفع والوتر ولا ريب أن العدد اما شفع او وتر .

هذه نحو عشرين قسماً أحاط بها الارض والهواء
والسحاب والجبال والنبات والحيوان وخصص الانسان منه
فقال (ووالد وما ولد) أي اقسم بأدم واولاده وغيرهم ،
وخصص ذلك بعد فقال (ونفس وما سواها) فاقسم بالنفوس
وتسويتها فتراه أقسم بامهات العالم كلها ، واخيراً اقسم بكل
ما خلق مما نشاهد وما لا نشاهد .

تفيد هذه الاقسام بالعلويات وهي تبلغ عشرين وبالسفليات
وهي تبلغ العشرين ايضاً ان الله أمر عباده وواجب عليهم النظر
في العلويات والسفليات بالتساوي وفي الحساب والهندسة والطبيعة

والكيميااء وعلم العمران والنفس وجميع العلوم اذ لم يخرج في
البحث عما ذكر في تلك الاقسام التي اقسام بها مبدعها . وكان
الأمة التي جهلت ما اقسام به واعرضت عنه ولم توفه حقه من
النظر قد اعرضت عما أقبل عليه مبدعها وازورت عما اراده
خالقها

تأنيب الآيات والسور (١)

المناسبة : في اللغة هي المشاكلة والمقاربة ، ومرجمها في الآيات ونحوها الى معنى رابط بينها عام او خاص ، عقلي او حسي او خيالي او غير ذلك من انواع العلاقات او التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعللة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه .

وفائدته : جعل اجزاء الكلام بعضها آخذاً باعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التألف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء .

قال الشيخ ولي الدين الملوي : قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لانها على حسب الوقائع المفرقة ، وفصل الخطاب انها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً فالمصحف على وفق ما في الاوح المحفوظ مرتبة

(١) ملخص عن الاتقان واسرار القرآن وغيرهما من التفاسير مع التعرف .

سوره كلها وآياته بالتوقيف ، كما انزل جملة الى بيت العزة .
ومن المعجز البين اسلوبه ونظمه الباهر ، والذي ينبغي في كل
آية ان يبحث اول كل شيء عن كونها مكاملة لما قبلها او
مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم
وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له ...
وذكر الآية بعد الاخرى اما ان يكون ظاهر الارتباط
لتعلق الكلام بعبئه ببعض وعدم تمامه بالاولى ، او كانت
الثانية للاولى على وجه التاكيد او التفسير او الاعتراض او
البدل . وهذا القسم لا كلام فيه .

وإما الا يظهر الارتباط بل يظهر ان كل جملة مستقلة عن
الاخرى وانها خلاف النوع المبدوء به ، فاما ان تكون
معطوفة على الاولى بحرف من حروف العطف المشتركة في
الحكم اولا ، فان كانت معطوفة فلا بد ان يكون بينها جهة
جامعة (كالتضاد وشبه التضاد) وقد جرت عادة القرآن اذا
ذكر احكاماً ذكر بعدها وعداً أو وعيداً ليكون باعناً على
العمل بما سبق ، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ليعلم عظم

الآمر الناهي . فان لم تكن الآية معطوفة فلايد من دعامة
تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط ، وله
اسباب احدها : التنظير فان الحاق النظير بالنظير من الشؤون
المعقولة كقوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً
من المؤمنين لكارهون » بعد قوله : « اوئك هم المؤمنون
حقاً » فانه تعالى امر رسوله ان يمضى لأمره في الغنائم على
كره من اصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب
الغير او للقتال وهم له كارهون . والغرض ان كراهتهم لما فعاه
من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج ، وقد تبين في
الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الاسلام فكذا
يكونون فيما فعاه بالقسمة فليطيعوا ما امروا به ويتركوا
هوى انفسهم .

ومن اوجه الارتباط بين الجمل او القصص ما يسمى
بالجامع الوهمي لأنه ليس في الواقع بجامع حقيقي ناجم عن
تناسب وتلاحم بينها وانما هو التضاد او شبه التضاد يجمع في
الذهن بين الاشياء المتضادة كالسواد والبياض والموت

والحياة ، او الاشياء المتقابلة كالسما والارض بمقدار ما بينها من التباعد في الخارج . ولا جرم ان حضور شيء في الذهن اذ ذلك حتى عند علماء الذهن من اسباب رسوخ المعنى في نفس الطالب ذكره منسوباً الى ما سبق لذهن السامع الاطاعة به من المعاني ، وصرحوا بان من الروابط التي تؤدي هذا المقصد وتكفي في تجاذب المعلومات بعضها بعضاً ان يكون بين المعاني القديمة والحديثة تشابه او تقابل .

ولهذا النوع من الروابط أعني التضاد في الكلام البليغ فوائد همة وما رب سامية منها تنبيه السامع وايقاظه قصيماً الى تثبيت ما سبق ذكره من الكلام في ذهن السامع باردافه بسرد ما يضاده او يناقضه او يقابله ، واستيعاب ما لللاحق من المزايا والخواص والنتائج التي تخالف مزايا السابق وخواصه ونتائجه .

وان شئت زيادة بيان فاعتبر بما جاء في اول سورة البقرة ، ذلك ان اول السورة كان حديثاً عن القرآن وأنه من شأنه هداية الموصوفين بالايان من الناس فلما اكملت الآية صفات

اولئك المؤمنون وبيئت انهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله وانهم الذين يؤمنون بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى من قبله من الكتب والوحي وانهم يوقنون بالآخرة ، اعقب ذلك حديثه عن الكافرين في قوله : « ان الذين كفروا سواء عليهم اأندرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » الى آخر ما جاء في الآيات التالية حديثاً عن اولئك الكافرين . ولا يعزب عن الذهن ثمرات تعاقب هذه الاحاديث الواردة في امم من الناس تباينت مسالكها وتضاربت مذاهبها وانما قرن بين حديث المؤمنين وحديث الكافرين مع ان اول السورة حديث عن القرآن نفسه لأن الكتاب الكريم لا يؤمن به سوى المؤمنون الذين سردت الآية صفاتهم ، واما الكافرون الذين ناقضت صفاتهم صفات المؤمنين فانهم سواء عليهم اأندرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

فلايات كلها من اول السورة الى آخر ما جاء حديثاً عن الكافرين من الآيات انما قصد منه تأكيد أمر القرآن والحث على الايمان به والعمل بما تضمنه من ضروب الهداية والارشاد

ولهذا اردفت جميع تلك الآيات بالرجوع الى مبدأ الكلام
والتنصيب على الغرض الذي سيقت له تلك الاحاديث السابقة
فقال تعالى بعد ما ذكر : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله
ان كنتم صادقين » الى آخر آيات الباب

وقد قال الامام الرازي في تفسير سورة البقرة : ومن
تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم ان
القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه ، فهو
معجز ايضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا انه
معجز بسبب اسلوبه ارادوا ذلك ، إلا اني رأيت جمهور
المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الاسرار
وليس الامر في هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الابصار صورته

والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

ومن الابواب المألوفة جداً في العربية باب الاستطراد
وباب حسن التخلص ، والفرق بين هذين البابين على ما هو

مذكور في مواطنه انه في الاستطراد يذكر الشيء عرضاً بسبب مناسبة تولدت من السياق ، ثم اذا فرغ المتكلم من ذكر ما استطرده له يعود الى اتمام الحديث الاول . واما في التخلص فان المتكلم يتخلص الى ذكر الشيء الذي هو مقصود بالذات ومعنى له فلا ينقلب عنه الى ما قبله .

وحسن التخلص : هو ان ينتقل مما ابتدئ به الكلام الى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاصاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع معه بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما .

والأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات من جميع القرآن ، هو انك تنظر الغرض الذي سبقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر الى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عن انجرار الكلام في المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف الى الوقوف عليها . فهذا الامر الكلي

المهيمن على حكم الربط بين جميع اجزاء القرآن ، فاذا فعلته
تبين لك وجه النظم منفصلا بين كل آية وآية في كل سورة .
ولترتيب وضع السور في المصحف اسباب تطلع على انه
توقيفي صادر عن حكيم :

- ١ - بحسب الحروف كما في الحواميم .
- ٢ - موافقة اول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد في
المعنى واول البقرة .
- ٣ - التوازن في اللفظ كما آخر تبت واول الاخلاص .
- ٤ - مشابهة جملة السورة للجملة الاخرى كالضحى والم
نشرح .

قال بعض الأئمة : سورة الفاتحة تضمنت الاقرار بالربوبية
والالتجاء اليه في دين الاسلام والصيانة عن دين اليهودية
والنصرانية . وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين ، وآل
عمران مكملة لمقصودها .

فالبقرة بمنزلة اقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة
الجواب عن شبهات الخصوم ، ولهذا ورد فيها ذكر التشابه لما

تمسك به النصارى، وواجب الحرج في آل عمران واما في البقرة
 فذكر انه مشروع وامر باتمامه بعد الشروع فيه، وكان
 خطاب النصارى في آل عمران اكثر كما ان خطاب اليهود
 في البقرة اكثر لأن التوراة اصل والانجيل فرع لها. والنبى
 ﷺ لما هاجر الى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده
 للنصارى في آخر الامر كما كان دعاؤه لاهل الشرك قبل اهل
 الكتاب ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق
 عليه الانبياء، فخطب به جميع الناس، والسور المدنية فيها
 خطاب من اقر بالانبياء من اهل الكتاب والمؤمنين فخطبوا
 يا اهل الكتاب، يا بني اسرائيل، يا ايها الذين آمنوا.

وأما سورة النساء فتضمنت احكام الاسباب التي بين
 الناس، وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدرة لهم كالنسب
 والصهر، ولهذا افتتحت بقوله « اتقوا ربكم الذي خلقكم
 من نفس واحدة وخالق منها زوجها » ثم قال « واتقوا الله الذي
 تساءلون به والارحام » فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح
 وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر

السورة في احكامه من نكاح النساء ومحرماته والموارث المتعلقة بالارحام ، فان ابتداء هذا الامر كان بخلق آدم ثم خلق زوجته منه ثم بث منها رجالا كثيرا ونساء في غاية الكثرة .
وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الامة وبها تم الدين ، فهي سورة النكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الاحرام وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمخاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والاموال واحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى ، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والتميم والحكم بالقرآن على كل ذي دين ، ولهذا أكثر فيها من لفظ الاكمال والتمام ، وذكر فيها ان من ارتد عوض الله بخير منه ، ولا يزال هذا الدين كاملا ، ولهذا ورد انها آخر ما انزل لما فيها من اشارات الختم والتمام . وهذا الترتيب بين هذه السور الاربع المدنية من احسن الترتيب وقال الشيخ طاهر الجزائري في كتابه التبيان ماملخصيه :

ومرجع المناسبة هو المعنى الذي يربط بين المتناسبين سواء كان حسيًا أو عقليًا أو غير ذلك . وفائدتها جعل اجزاء الكلام آخذًا بأعناق بعض حتى يصير حاله كحال البناء المحكم المتلائم الاجزاء . قال بعض الأئمة : من محاسن الكلام ان يرتبط بعضه ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني منتظمة المباني . ولنذكر شيئاً مما يتعلق بذلك فنقول :

اذا وردت جملة بعد جملة فان كانت الثانية متممة للاولى كأن تكون مؤكدة لها او مفسرة لها او مبدلة منها فالامر في ذلك ظاهر ، وان كانت مستقلة عما قبلها ، فان كانت معطوفة عليه فلا بد ان يكون بينهما جامع نحو قوله تعالى « يعلم ما يلج في الارض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يمرج فيها » وقوله تعالى : « والله يقبض ويبسط ، واليه ترجعون » وانواع الجوامع كثيرة والجامع هنا التضاد ، وان كانت غير معطوفة على ما قبلها لم يلزم ان يكون بينها جامع لورودها حينئذ على طريق الاقتضاب ، وذلك نحو قوله تعالى « كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى »

وقال كثير من العلماء يلزم هنا ايضاً ان يكون بينها جامع وعلى ذلك جرى بعض المفسرين حيث قال : يقول تعالى الى ما هكذا ينبغي ان يكون الانسان ان ينعم عليه ربه بتسوية خلقه وتعليمه ما لم يكن يعلم ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك ويطغى عليه ان رآه استغنى

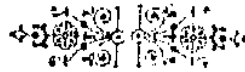
ثم قال : للعرب في الانتقال من امر الى آخر طريقان ، احدهما الاقتضاب والآخر التخلُّص

اما الاقتضاب : فهو الانتقال من امر الى آخر بغتة من غير ان يمهده له تمهيداً يجعله كأنه من تنمة الاسر الاول وهذا هو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين . وذلك نحو قوله تعالى « كذبت ثمود بالنذر » وقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم » وقد يقع في الاقتضاب لفظ يدل على الانتقال من امر الى امر آخر وذلك مثل هذا في قوله تعالى « هذا وان للطاغين لشر مآب ، جهنم يصلونها فبئس المهاد » فان هذا ورد بعد وصف جنات عدن وبيان ما فيها مما تشبهه الانفس وتلد الاعين

واما التخلص: فهو الانتقال من امر الى امر آخر من بعد ان يهد له تمهيداً يجمعه كأنه من تنمة الامر الاول ، وقد وقع التخلص في القرآن الكريم مثل قوله تعالى « وائل عليهم نبأ ابراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون » الآيات . فان في قوله « فانهم عدوي إلا رب العالمين » تخلصاً من ذكر الاصنام الى ذكر الله تعالى . ثم اجزى عليه تلك الصفات الدالة على عظم شأنه ووفور احسانه اينبهمهم على ان من كان كذلك فهو الجدير بأن يعبد ، والفرق بين التخلص والاستطراد ان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول حتى يكون المستطرد به آخر الكلام وهذا ان الامر ان معدومان في التخلص فانه لا يرجع فيه الى الاول ولا يقطع فيه الكلام بل يستمر فيه على ما تخلص اليه .

والاستطراد: هو ان يأخذ المتكلم في معنى فبينما يعرفه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الاول سبباً اليه وذلك كقوله تعالى « ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، ان الذي احياها لمحي الموتى » فان الله سبحانه بينا يذكر

انزاله الفيث واهتزاز الارض بعد خشوعها بسببه ذكر ان الذي
احيا الارض قادر على احياء الموتى واعادتها بعد بلاها .
وكقوله تعالى «ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود». وكقوله تعالى
« فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود » .



المطوب القرآن

وفصاحته ونظمه وتركيبه

اخرج الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما : ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي ﷺ فقراً عليه
القرآن فكانه رق له فبلغ ذلك ابا جهل فأتاه فقال : يا عم ان
قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا ليعطوكه فانك اتيت محمداً
لتعرض لما قبله ، قال : قد علمت قريش أي من اكثرها مالا ،
قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك انك منكر له ، قال : وما
اقول فوالله ما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ، لا برجزه ولا
بقصيده ولا باشعار الجن ، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً
من هذا ، ووالله ان لقوله الذي يقول لحلاوة ، وان عليه
لطلاوة ، وانه لمثمر اعلاه ومغدق اسفله ، وانه ليعلو وما يعلى
وانه ليعظم ماتحته .

وذكر في حديث اسلام ابي ذر الغفاري رضي الله عنه

انه وصف اخاه انيساً فقال : والله ما سمعت باشعر من اخي

انيس ، لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا احدهم
وانه انطلق الى مكة وجاءني قلت فما يقول الناس ، قال يقولون
شاعر كاهن (أي هم حيارى في وصف رسول الله) ثم قال
انيس : لقد سمعت ما قاله الكهنة فما هو قولهم ، ولقد وضعت
على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه
شعر ، وانه لصادق وانهم لكاذبون .

روى ابن اسحاق ان قريشاً جعلوا اذا جهر رسول الله
بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون ان يستمعوا له خوفاً
من تأثيره على نفوسهم ، وكان الرجل منهم اذا اراد ان
يستمع من رسول الله بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي
استرق السمع دونهم فرقاً منهم فان رأى انهم قد عرفوا انه
يستمع منه ذهب خشية اذا هم فلم يستمع ، وان خفض
رسول الله صوته فظن الذي يستمع انهم لا يستمعون شيئاً من
قراءته وسمع هو شيئاً دونهم اصاح له يستمع منه ، وقد روى
ابن عباس رضي الله عنهما انما نزلت هذه الآية : « ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً » من أجل
هؤلاء النفر .

وروى ابن اسحاق ايضاً : ان ابا سفيان و ابا جهل
والاخنس خرجوا ايلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو
يصلي في الليل بالبيت فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه
وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع
الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض
لا تعودوا ، فلو رأكم بعض سفهاءكم لأوقعتم في نفسه شيئاً
ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم
الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ،
فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم
انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة الثالثة اخذ كل رجل منهم
مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم
الطريق ، فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود
فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما اصبح الاخنس اخذ
عصاه ثم خرج حتى اتى ابا سفيان في بيته فقال : اخبرني
يا ابا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال يا ابا ثعلبة
والله لقد سمعت اشياء اعرفها واعرف ما يراد بها وسمعت اشياء

ما عرفت معناها ولا ما يراد بها فقال الاخنس : انا والذي
 حلفت به كذلك ، ثم خرج الاخنس من عنده حتى اتى ابا جهل
 فدخل عليه بيته فقال : يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعت من
 محمد ، فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف
 الشرف ، اطعموا فاطمنا ، وحموا فحملنا ، واعطوا فاعطينا
 حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا ككفري رهان ، قالوا : منا
 نبي ياتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه ، والله لا نؤمن
 به ابداً ولا نصدقه ، فقام عنه الاخنس وتركه .

ولقد كانت قريش ترق قلوبها لسمع القرآن ، ولكن
 نزاع العصبية الجاهلية من راسة وشرف وتقدم كان يحجمها
 عن الايمان والدخول تحت لواء الاسلام والاهتداء
 بهدي القرآن .

ولقد اخذت قريش تمنع المسلمين من قراءة القرآن جهاراً
 كيلا يفتتن به الناس ويؤمنوا بما جاء به ، ومن ذلك ان عبد الله
 بن مسعود رضي الله عنه ذهب مرة الى الكعبة وقت الضحى
 وقام عند المقام وقريش في انديتها ، ثم قرأ بصوت عال

(بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان عامه البيان . الشمس والقمر بحسبان . والشمس والشجر يسجدان) فاصاحت قريش السمع حتى تذهبوا الى انه يتلو القرآن ، فصاح احدهم انه يتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا اليه ، فجعلوا يضربون وجهه ، وجعل يقرأ حتى آذوه اذى شديداً واصابوه بجروح في وجهه ، فلما عاد الى اصحابه من المسامين قالوا له : هذا الذي خشينا عليك ، فقال عبدالله : ما كان اعداء الله اهلون عليّ منهم الآن ولئن شئتم لا غادينهم بمثلها غداً ، فقال له المسامون : لا . حسبك قد اسمعتمهم ما يكرهون .

فاسلوب القرآن الكريم هو اعجب العجائب لمن تفكر وتبصر : ولقد استولى بنصاحه اسلوبه وعجيب نظمه على نفوس العرب واستبد بارادتهم ، وغلب على طباعهم ، وحال بينهم وبين ما زعوا اليه من خلافة ، حتى انعقدت قلوبهم عليه وهم يجهدون في نقضه ، واستقاموا لدعوته وهم يبالغون في رفضها ، فكانوا يفرون منه في كل وجه ثم لا يذنبون إلا اليه لأنه اخذ

عليهم بفصاحته واحكام اساليبه جهات النفس العريية ، فلم يدع لهم سبيلا الى المكابرة إلا باللسان ، لقد تحداهم ان يأتوا بمثله فعجزوا ، ثم بعشر سور مفتريات تحاكيه فعجزوا ، ثم بسورة من مثله فلما عجزوا صرخ في وجوههم (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعادت للكافرين) .

ولولا ان اسلوب القرآن الكريم جاء على هذا النمط من الاحكام والفصاحة لما انتهى امره الى اكثر مما ينتهي اليه امر كل كتاب في الارض ، ولما كان له اثره في اولئك العرب ولما احجموا عن معارضته وفيهم اللسن المقاول ، ولما بذلوا مهجهم ودماءهم في الحروب والمجالد ، ولكن القرآن الكريم ملك عليهم مذاهب البيان وأراهم عجزهم لمس اليد فاستكانوا في نهاية امرهم لدعوته بعد طول العناد . وهاهو القرآن الكريم تمر به السنون والاعوام مدة اربعة عشر قرناً ولم يدع احد

معارضته الا رجع ذليلاً ، كما على عقبيه ، وها هم اصراء
 الفصاحة والبلاغة طوال تلك المدة يشهدون باعجازه ويقرون له
 صاغرين بالمرتبة العليا التي لا تمتد لها الاعناق ، كيف لا وهو
 يتضمن التعبير للزمن على اختلاف ادواره وتباين اطواره
 بأسلوب انيق ونظم رشيق تضمن الكنايات البديعة الجميلة
 والامثال النبيلة والاستعارات الشائقة والمجازات البليغة
 واللغة المتينة ، في حين انه يخاطب العقل والروح والمشاعر
 والعواطف ، ويملك على النفس جميع مناحيها .

انظر القرآن حينما يلفت قارئه الى هذا الوجود وآياته من
 شمسه وقمره وليله ونهاره وبحره وبره وسماؤه وارضه ونباته
 وحيوانه ، وكيف يشير الى موضعه من الآية ، وكيف جاء به
 على نهج قد وسع العرب وفصاحتها ، وبلوغها النهاية في حسن
 النظم ورعاية المقام ، ومطابقة الحال الذي يليق بهم ، مخاطباً
 مع العقل المشاعر والاحساس ، في حين انه وسع علماء الفلك
 وعلماء الطبيعة وعلماء الاجنة وعلماء التشريح والطب وعلماء
 الحيوان والنبات على اختلاف العصور واطوارها الى القرن

الرابع عشر (١)

قال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره « فان شئت ان
تشعر سمعك وذوقك بالفرق بين نظم الكلام البشرى وبين
الكلام الالهي فأت بقاريء حسن الصوت يسمعك بعض
اشعار المفلقين وخطب المصاقع المفوهين من المتقدمين
والمتأخرين بكل ما يستطيع من نغم وتحسين ، ثم لیتلو عليك
بعد ذلك بعض سور القرآن المختلفة النظم والاسلوب كسورة
النجم وسورة الرحمن وسورة الواقعة وسورة الحديد مثلاً ثم
حك ذوقك ووجدانك في الفرق بينها في انفسها ، ثم في الفرق
بين كل منها وبين كلام البشر في كل اسلوب من اساليب
بلغائهم وتأثير كل من الكلامين في نفسك بعد اختلاف
وقعه في سمعك .

طرق الإعجاز في القرآن

قال الامام نجر الدين الرازي في تفسيره ما ملخصه :
اعلم ان كون القرآن معجزاً يمكن بيانه من طريقين :
الاول — ان يقال ان هذا القرآن لا يخلو حاله من احد
وجوه ثلاثة : اما ان يكون مساوياً لسائر كلام الفصحاء او
زائداً عليه بقدر لا ينقص العادة ، او زائداً عليه بقدر
ينقص العادة . والقسمان الاولان باطلان فتعين الثالث . وانما
قلنا انهما باطلان لأنه لو كان كذلك لكان من الواجب ان
يأتوا بمثل سورة منه اما مجتمعين او منفردين ، فان وقع
التنازع وحصل الخوف من عدم القبول فالشهود والحكام
يزيلون الشبهة وذلك نهاية في الاحتجاج لأنهم كانوا في معرفة
اللغة والاطلاع على قوانين الفصاحة في الغاية وكانوا في محبة
ابطال امره في الغاية حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا
ضروب المهالك والمحن وكانوا في الحمية والانفة على حد لا
يقبلون الحق فكيف الباطل وكل ذلك يوجب الاتيان بما

يقدم في قوله والمعارضة اقوى الفواحد فاما لم يأتوا بها علمنا
عجزهم عنها ، فثبت ان القرآن لا يماثل قولهم وان التفاوت بينه
وبين كلامهم ليس تفاوتاً معتاداً فهو اذن تفاوت ناقص للعادة
فوجب ان يكون معجزاً .

الطريق الثاني : ان نقول ان القرآن لا يخالو اما ان يقال
انه كان بالغاً في فصاحة الى حد الاعجاز او لم يكن كذلك
فان كان الاول ثبت انه معجز وان كان الثاني كانت المعارضة
على هذا التقدير ممكنة ، فعدم اتيانهم بالمعارضة مع كون
المعارضة ممكنة ومع توفر دواعيهم على الاتيان بها امر خارق
للعادة فكان ذلك معجزاً . فثبت ان القرآن معجز على جميع
الوجوه وهذا الطريق اقرب الى الصواب . واعلم انه قد
اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته ومع
ذلك فانه بلغ في الفصاحة غلبة ليس وراءها غلبة فدل ذلك على
كونه معجزاً :

احدها : ان اكثر فصاحة العرب في وصف المشاهدات
مثل وصف بعير او فرس او جارية او ملك او ضربة او طعنة

او وصف حرب او وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء شيء فكان يجب الا تحصل فيه الالفاظ الفصيحة التي اتفقت العرب عليها في كلامها .

ثانيها : انه تعالى التزم فيه طريقة الصدق وكل بليغ التزم ذلك نزل كلامه عن مرتبة البلاغة ، ألا ترى ان لبيداً وحساناً لما اساما نزل شعرها ولم يكن شعرها الاسلامي في الجودة كسعرها الجاهلي . ومع تنزه القرآن عن الكذب والمبالغة جاء على ما تراه من الفصاحة التي ليست بعدها غاية .

ثالثها : ان النثر الفصيح والنظم الفصيح انما يتفق في الرسالة شذرة منه وفي القصيدة البيت والبيتان والباقي لا يكون كذلك ، وليس القرآن كذلك لأنه كله فصيح بحيث عجز البشر عن الاتيان بسورة منه كما عجزوا عن الاتيان بمشاه جملة

رابعها : ان من قال قولاً فصيحاً في وصف شيء فانه اذا كررها لم يكن كلامه الثاني في وصف ذلك الشيء بمنزلة كلامه الاول بخلاف القرآن فانه أتى بالاوصاف المختلفة في المواضيع المختلفة للشيء الواحد كل ذلك في نهاية الفصاحة .

خامسها : انه أتى بإيجاب المبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق واحتقار الدنيا واختيار الأخرى وامثال هذه المطالب التي لم يسبق اليها توجب تقليل الفصاحة ومع ذلك فقد أتى القرآن في ذلك بالمعجب المعجاب .

سادسها : الفحول من البلغاء قلما يبرزون الا في اعتراضات معينة ويضعفون في غيرها ولهذا يقولون أشعر الشعراء في الجاهلية امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وزهير اذا رغب وعذرة اذا كلب بمعنى ان الاول مبرز في وصف الخيل والثاني في الاعتذار والثالث في وصف الحجر والرابع في المديح والخامس في وصف المعارك والفتك . أما القرآن فانه احرز قصب السبق في كل المواضع التي ذكرها والفنون التي سلكها .

سابعها : ان القرآن اشتمل على المعارف العظيمة والاسس الاجتماعية الرصيفة حتى اصبح قطباً تدور حوله العلوم الكثرية ومعيناً يفترون منه المسلمون ما فيه صلاح معاشهم ونجاح معادهم اه .

وقال الشيخ محمد عبده في رسالته في التوحيد ما ملخصه :
جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق اليه الريبة أن النبي ﷺ كان
في نشأته وأميته على الحال التي ذكرنا ، وتواترت اخبار الامم
كافة انه جاء بكتاب قال انه انزل عليه وان ذلك هو القرآن
المكتوب في المصاحف المحفوظ في صدور من عني بحفظه من
المسلمين الى اليوم . كتاب حوى اخبار الامم الماضية ما فيه
معتبر للاجيال الحاضرة والمستقبلة ، نقب على الصحيح منها ،
وغادر الاباطيل التي الحقتها الاوهام بها ، ونبه على وجوه
العبرة فيها .

حكى عن الانبياء ما شاء الله ان يقص علينا من سيرهم ،
وما كان بينهم وبين اممهم ، وبرأهم مما رماهم به اهل دينهم
المعتقدين برسالاتهم .

آخذ العلماء من الملل المختلفة على ما افسدوا من عقائدهم ،
وما خلطوا في احكامهم ، وما حرفوا بالتأويل في كتبهم .
وشرع للناس احكاماً تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة
بالعمل بها والمحافظة عليها . وقام بها العدل وانتظم بها شمل

الجماعة ما كانت عند حد ما قدره . ثم عظمت المضرة في
اهمالها والانحراف عنها او البعد بها عن الروح الذي اودعته ،
ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية كما يتبين للمناظر في شرائع
الامم ، ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب تخشع له
القلوب ، وتهش لاستقبالها العقول ، وتنصرف وراءها الهمم
انصرافها في سبيل الامم .

نزل القرآن في عصر اتفق الرواة وتواترت الاخبار على انه
ارقى الاعصار عند العرب واغزرها مادة في الفصاحة وانه
الممتاز بين جميع ماتقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطابة
وانفس ما كانت العرب تتنافس فيه من ثمار العقل ونتائج
الفطنة والذكاء هو الغلب في القول والسبق الى اصابة مكان
الوجدان من القلوب ، ومقر الاذعان من العقول ، وتفانيهم في
المفاخرة بذلك مما لا يحتاج الى الاطالة في بيانه .

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة
النبي ﷺ والتماسهم الوسائل قريبا وبعيدها لا بطلان دعواه
وتكذيبه في الاخبار عن الله ، واتيانهم في ذلك على مبلغ

استطاعتهم ، وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته ، والامراء الذين يدعوهم السلطان الى مناوآته ، والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بانوفهم عن متابعتة ، وقد اشتد جميع اولئك في مقاومته ، وانهاوا بقواهم عليه استكباراً عن الخضوع له وتمسكا بما كانوا عليه من اديان آباءهم ، وحمية لعقائدهم وعقائد اسلافهم ، وهو مع ذلك يخطي آراءهم ، ويسفه احلامهم ، ويحتقر اصنامهم ، ويدعوهم الى ما لا تعهده ايامهم ، ولم تخفق لمثله اعلامهم ولا حجة له بين يدي ذلك كاه إلا تحديهم بالاتيان بمثل اقصر سورة من ذلك الكتاب او بعشر سور من مثله وكان في استطاعتهم ان يجمعوا اليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاؤا ليأتوا بشيء من مثل ما اتى به ليبطل الحجة ، ويفهم صاحب الدعوة .

جاءنا الخبر المتواتر انه مع طول زمن التحدي ، ولجاجة القوم في التعدي ، اصابوا بالعجز ، ورجعوا بالخيبة ، وحققت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام ، وقضاء حكمه العلي على جميع الاحكام ، أليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان

أمر أعظم معجزة وأدل برهان على أنه ليس من صنع
 البشر ، وإنما هو النور المنبعث عن شمس العلم الإلهي ، والحكيم
 الصادر عن المقام الرباني على لسان الرسول الأبي صلى الله
 وسلم .
 هذا وقد جاء في الكتاب من أخبار الغيب ما صدقته حوادث
 الكون كالخبر في قوله تعالى « ٣٠ : ٢ غلبت الروم في أدنى
 الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين » وكالوعد
 الصريح في قوله « ٢٤ ، ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
 الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من
 قبلهم) الآية . وقد تحقق جميع ذلك ، وفي القرآن كثير من
 مثل هذا يحيط به من يتلوه حق تلاوته .

ومن الكلام على الغيب فيه ما جاء في تحدي العرب به
 واكتفائه في الرجوع عن دعواه بأن أتوا بسورة من مثله
 مع سعة البلاد العربية ووفرة سكانها وتباعد أطرافها وانتشار
 دعوته على لسان الوافدين إلى مكة من جميع أرجائها . ومع أنه
 لم يسبق له صلى الله
 وسلم السياحة في نواحيها والتعرف برجالها وقصور
 العلم البشري عادة عن الإحاطة بما أودع في قوى أمة عظيمة

كالاتمة العربية ، فهذا القضاء الحاتم منه بانهم ان يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثل ما تحداهم به ليس قضاء بشرياً . ومن الصعب بل من المتعذر ان يصدر عن عاقل التزام كالذي التزمه وشرط كالذي شرطه على نفسه . لغلبة الظن عند من له شيء من العقل ان الارض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته وانما ذلك هو الله المتكلم والعليم والخبير هو الناطق على لسانه وقد احاط عامه بقصور جميع القوى عن تناول من استهضمهم له وبلوغ ما حثهم عليه .

يقول وايم : ان العجز حجة على من عجز فان العجز هي حجة الاخفام والزام الخصم . وقد يلتزم الخصم ببعض المسلمات عنده فيفهم ويعجز عن الجواب فتلزمه الحجة ولكن ليس ذلك يلتزم لغيره ، فمن الممكن الا يسلم غيره بما ساءه . فلا يفحمه الدليل . بل يجد الى ابطاله اقرب سبيل .

وهو وهم يضمحل بما قدمناه من البيان . اذ لا يوجد من المشابهة بين اعجاز القرآن واخفام الدليل الا انه يوجد عن كل منها عجز . وشتان بين العجزين . وبقدر ما بين وجهة

الاستدلال فيهما . فان اعجاز القرآن برهن على امر واقعي وهو تقاصر القوى البشرية دون مكانته من البلاغة . . . وقلنا « القوى البشرية » لأنه جاء بلسان عربي وقد عرف الكتاب عند جميع العرب في عهد النبوة وكان حال العصر من البلاغة كما ذكرنا . وحال القوم في العناد كما بينا . ومع ذلك لم يكن للعرب أن يعارضوه بشيء من مبلغ عقولهم . فلا يعقل ان فارسياً أو هندياً أو رومانياً يبلغ من قوة البلاغة في العربية أن يأتي بما عجز عنه العرب انفسهم . وتقاصر القوى جميعها عن ذلك . مع التماثل بين النبي وبينهم في النشأة والتربية . وامتياز الكثير منهم بالعلم والدراسة دليل قاطع على ان الكلام ليس مما اعتيد صدوره عن البشر . فهو اختصاص من الله سبحانه وتعالى لمن جاء على لسانه . ثم ورد في القرآن من تسجيل العجز عليهم . والتعرض للاصطدام بجميع ما اوتوا من قوة . مما يدل على الثقة منه على ماسبق تعداده من الامور التي لا يمكن معها لعاقل أن يقف ذلك الموقف مع طول الزمن وانفساح الأجل كل ذلك يدل على ان الناطق هو عالم

الغيب والشهادة . لا رجل يعظ وينصح على العادة .
فثبت بهذه المعجزة العظمى . وقام الدليل بهذا الكتاب
الباقي الذي لا يعرض عليه التفسير . ولا يتناوله التبديل اه .
وقال الاستاذ محمد فريد وجدي ما ملخصه : ان العلة في
نظرنا واضحة لا تحتاج الى كبير نائل وهي ان القرآن روح
من امر الله « وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان » فهو يؤثر بهذا الاعتبار
تأثير الروح في الاجساد فيحركها ويتسلط على اهوائها .
فهذه الآية وحدها تكفي في ارشادنا الى جهة أعجاز القرآن
وقصور الأنس والجن على الاتيان بمثله . وهذا هو سر بقاءه
وخلوده تتلألاً انواره الزاهية ، فهو ذو روحانية خاصة لها
شأنها الأسمى هي سر الاعجاز وهي التي قلبت شكل العالم
وكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله في ارضه
وارغمت لها معاطس كل جبار عنيد حتى صاروا ملوك الملوك
واخوان الملائكة في مدة لا يصعب عد سنينها على الاصابع
« يلقي الروح من امره على ما يشاء من عباده » .

لا مشاحة في ان القرآن فصيح قد اخرج من بفصاحته
فرسان البلاغة وقادة الخطابة وملوك البيان . وهو حكيم بهر
سماسرة الحكمة . وادهش اساطين التشريع . وحير اراكين
التنظيم والتقنين . وهو حق الزم كل غال المحجة ودل كل
باحث على المحجة ، وهو هدى ونور وشفاء لما في الصدور . كل
هذه صفات جليلة تؤثر على العقل والشعور والعواطف والميول
فتتحكم بها تحكم المالك في ملكه ولكنة فوق ذلك كله هو
« روح من امر الله » نصل من روح الانسان الى حيث لا
تصل اليه اشعة البلاغة والبيان ولا سيالات الحكمة والعرفان .
وتسري من صميم معناه الى حيث لا يحوم حوله فكر ولا
خاطر . تنفذ هذه الروحانية الى سريرة الانسان وتستولي منها
على اصل حياته ومهب عواطفه واحساساته وتخلقه خلقاً
جديداً ، ألا ترى كيف فعلت بأولئك العرب الذين لبثوا
قروناً عديدة على حالة واحدة لا يتحولون عنها فنفتحهم بروح
عالية جالوا بواسطتها جولاتهم المشهورة واخضعوا لسلطانهم
معظم المعمورة ونشروا في ارجائها الفضائل والكمالات بعد

ان كانوا ممزقين مشتتين لا تجتمعهم جامعة سياسية ولا تؤلف
بيدهم رابطة قومية ولا دينية . على ان القرآن روح الهي
وامر سماوي ، وأي وجه من وجوه اعجازه اوقع في النفس
وانقى للشك واولى بالقبول من وجه روحانيته ، أي انسان يرى
العربي الذي كان بالامس جزاراً او راعياً او تاجراً ، وكان
مفموراً في جمهور جاهل لا يحترم دستوراً ولا يخضع لنظام .
ثم اصبحت بعد ان اهتدى بنار هذا الكتاب قائداً محمكاً يقود
جيشاً يرغم به معاطس الجبابة . ثم لا يلبث ان يرفع للعدل
مناراً ويغمر تلك الامم المغلوبة بجلائل الفضائل ومحاسن
الكالات ، أي انسان يرى ذلك ولا يقرب بأن العربي قد
اكتسب روحاً لم تكن فيه من قبل وليست من جنس
الارواح الموجودة في علياء النفوس واصحاب الفضائل من
الافراد . كيف لا يستدل هذا الانسان بالحس على تلك
الروحانية وقد اصبحت يرجو من كان يخافه ويتعلم ممن كان لا
يرى أجهل منه . ويتخلق باخلاق من كان لا يرى شرأ أكثر
منه . ومن هذا يظهر ان القرآن فوق الفصاحة والحكمة

والدستور روحانية يدركها من لاحظ له في فهم بلاغة الكلام
وتقدير الحكمة وادراك الدستور . فهذه الروحانية تظهر
للعارف باللغة ومرامي بلاغتها ، وللاجاهل بذلك ، تظهر للاول
بذاتها وللثاني باثرها ونتائجها . . . ا هـ

وقال الاستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه اعجاز
القرآن ما ملخصه :

لا جرم كان القرآن في نظمه وتركيبه نمطاً واحداً في القوة
والابداع لا تقع منه على لفظ واحد يخل بطريقته مادامت
تتعطف عليه جوانب هذا الكلام الالهي وما دام في موضعه من
النظم والسياق ، فاذا أنت حرفت الفاظه عن مواضعها أو
أخرجتها من أماكنها وأزالتها عن روابطها حصلت معك
الفاظاً كغيرها مما يدور في الالسنه ويجري في الاستعمال
ورأيها - وهي في الحالين لغة واحدة - كأنما خرجت من لغة
الى لغة لبعدها ما كانت فيه مما صارت اليه ، بيد أنك اذا
تعرفت الفاظ اللغة على هذا الوجه في كلام عربي غير القرآن
أصبحت أمراً بالخلاف ورأيت لكل لفظه روحاً في تركيبها

من الكلام فاذا أفردتها وجدتها قريبة مما كانت لأنها هي نفسها التي كانت من روح التركيب ، ولم يكن لهذا التركيب في جملة روح خاصة بالنسق والنظم فيعطي كل لفظة معنى في الجملة كما أعطتها اللغة معنى في الأفراد حتى اذا ابتها وميزتها من هذه الجملة ضعفت ونقصت وتبينت فيها من الوحشة والقلة شبيه الذي يعرض للغريب اذا نرح عن موطنه وبان من أهله وكان كل ذلك فيها طبيعياً لأن حقيقة التركيب انما هي صفة الوحي في هذا الكلام .

وهذه الروح التي اومأنا اليها (روح التركيب) لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس ولولاها لم يكن بحيث هو كما انما وضع جملة واحدة ليس بين اجزائها تفاوت او تباين اذ تراه ينظر في التركيب الى نظم الكلمة وتأليفها ثم الى تأليف هذا النظم . فمن ههنا تعلق بعضه على بعض وخرج في تلك الروح صفة واحدة هي صفة اعجازه في جملة التركيب فيما عرفت ، وان كان فيما وراء ذلك متعدد الوجوه التي يتصرف فيها من اغراض الكلام

ومناحي العبارات على جملة ما حصل به من جهات الخطاب كالقصص والمواعظ والحكم والتعليم وضرب الامثال الى نحوها مما يدور عليه . ولولا تلك الروح لخرج اجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس .

الى ان قال :

وانك لتحار اذا تأملت تركيب القرآن ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها ، وتقدم بك العبارة اذا انت حاولت ان تمضي في وصفه : حتى لا ترى في اللغة كلها ادل على غرضك واجمع لما في نفسك وأبين لهذه الحقيقة غير كلمة الاعجاز .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي :
لو ان عقائد الاسلام المنزلة في القرآن من الايمان بالله وصفاته وملائكته وكتبه ورساله واليوم الآخر ، وما فيه من الحساب والجزاء ودار الثواب ودار العقاب جمعت مرتبة في ثلاث سور او اربع او خمس مثلاً ككتب العقائد المدونة .
ولو ان عباداته من الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج

والدعاء والاذكار وضع كل منها في بضع سور ايضاً مبنية
مفصلة ككتب الفقه المصنفة .

ولو ان آدابه وحكمه وفضائله الواجبة والمندوبة وما يقابلها
من الرذائل والاعمال المحرمة والمكروهة ، افردت
هي وما تقتضيه من الترغيب والترهيب من المواعظ والنذر
والامثال ، الباعثة لشعوري الخوف والرجاء ، فصلت في عشر
سور او اكثر ككتب الاخلاق والآداب المؤلفة

ولو ان قواعد التشريعية واحكامه الشخصية والسياسية
والحرية والمالية والمدنية وحدوده وعقوباته التأديبية رتبت
في عدة سور خاصة بها كاسفار القوانين الوضعية

ثم لو ان قصص النبيين والمرسلين وما فيها من العبر والمواعظ
والسنن الالهية سردت في سورها مرتبة كدواوين التاريخ .

لو ان كل ما ذكر وما لم يذكر من مقاصد القرآن التي
اراد الله بها اصلاح شؤون البشر جمع كل نوع منها وحده
كترتيب اسفار التوراة التاريخي التي لا يعلم احد مرتبها ، او
كتب العلم والفقه والقوانين لتقد القرآن بذلك اعظم من ايا
هداياته المقصودة القصد الاول من التشريع وحكمة التنزيل

وهو التعبد به واستفادة كل حافظ للكثير او للقليل من
سوره — حتى القصيرة منها — كثيراً من مسائل الايمان
والفضائل والاحكام والحكم المنبثقة في جميع السور . لان
السورة الواحدة لا تحوي في هذا الترتيب المفروض إلا مقصداً
واحداً من تلك المقاصد وقد يكون احكام الطلاق او الحيض
فمن لم يحفظ إلا سورة طويلة في موضوع واحد يتعبد بها
وحدها ، فلا شك انه يعلمها

واما سوره المنزلة بهذا الاسلوب الغريب ، والنظم العجيب
فقد يكون في الآية الواحدة الطويلة والسورة الواحدة القصيرة
عدة الوان من الهداية وان كانت في موضوع واحد ، فترى
في سورتي الفيل وقريش ذكر مسألتين تاريخيتين قد جعلتا
حجة على مشركي قريش فيما يجب عليهم من توحيد الله وعبادته
بما من عليهم من عنايته بحفظ البيت الحرام وامنه وهو مناط
عزهم ونفخهم وشرفهم ومعقل حياتهم ومجبي تجارتهم ورزقهم

اخباره عن الماضين والقيامات

اخبر القرآن الكريم عما وقع للانباء مع اقوامهم من القصص والحوادث في العصور الماضية كقصة آدم عليه السلام مع الملائكة والشيطان ، و كقصة نوح عليه السلام مع قومه وكيف دعاهم الى الخير وترك عبادة الاصنام فعرضوا ثم اندرهم العقاب فعموا و صموا ووضعوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصرروا واسكبروا استكبارا ، ففزع نوح الى الله ودعا عليهم وقال « رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » فاتاهم الطوفان حتى طوتهم المياه طي السر في الفؤاد . و كقصة هود عليه السلام مع قومه عاد وكيف قابلوه بالعناد ورموه بالسفه والمس وبقي يدعو ويعرضون الى ان اتاهم الله بريح صرصر عاتية فاصبح القوم بعدها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية . و كقصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود كيف عقروا الناقة وعتوا عن امرهم وقالوا : يا صالح اثنتا بما

تعدنا ان كنت من المرسلين ، فقال لهم تمتعوا في داركم
ثلاثة ايام ترون بعدها العذاب الاليم ، فبيتوا له ولأهله الشر
واضرموا على قتله مع اهله ولكن الله لم يمهلهم بل انزل عليهم
عقابه فاخذتهم الصاعقة فاصبحوا في دارهم جائعين . وكقصة
ابراهيم عليه السلام مع اهل بابل وملكهم نمرود وكيف افتتح
دعوته الى الله بدعوة ابيه فاعرض عنها وكيف حطم اصنام
قومه ، وكيف القوا به في النار فحفظه الله تعالى من لظاها
وانقذه من سعيرها وقال لها يانار كوني برداً وسلاماً على
ابراهيم ، وذكر ما جرى بين ابراهيم عليه السلام وبين النمرود
من المحاجة والجدل ثم هجرته من بابل الى فلسطين ومن هناك
الى مصر وعمما جرى بينه وبين ملكها العمليقي ثم ما كان بينه
وبين ولده اسماعيل عليها السلام وبناء الكعبة . وكقصة لوط
عليه السلام وقومه في مدينة سدوم وكيف كان ينهاهم عما كانوا
عليه من انحلال في الاخلاق وفساد في الحال وحب الفاحشة
ولكن آذانهم وقرت وعيونهم عميت وقلوبهم غافت فاندفعوا
في شرورهم واستمروا على فجورهم ، فدعا عليهم لوط عليه

السلام فاستجاب الله دعاءه وبنت ملائكته الى اهل هذه القرية
الظالم اهلها فأمروا لوطاً ان يسري هو واهله بقطع من الليل
والا يصطحب امرأته فسيحل بها ما يحل بالقوم جزاء نفاقها
ومشايعتها لهم ، ولما فارق لوط واهله القرية ، جاءها أمر الله
وزلزلت الأرض زلزالها فصار عاليها سافلها ، ثم غشيت بخطر
من سجيل فاصبحت ديار ثم خاوية بما ظاموا . وكقصة يعقوب
عليه السلام وبنيه ويوسف واخوته ، والحوادث التي وقعت
ليوسف واخوته والحوادث التي وقعت ليوسف عليه السلام
في مصر . وكقصة شعيب عليه السلام واهل مدين وما نزل
بهم من العذاب . وكقصة موسى عليه السلام من ولادته الى
وفاته وما جرى له من الحوادث مع فرعون وقومه بني اسرائيل
والخضر وغير ذلك من الحوادث . وكذلك ما كان لداود
وسليمان عليهما السلام من الحوادث والوقائع ، وما كان
لسليمان عليه السلام مع بلقيس والجملة . ثم ماجرى لبني اسرائيل
لما استشرى فيهم الفساد وهافتوا في حماة الضلال ، ولم تعد
للرحمة مكان في نفوسهم فانذرهم ارميا بشر مستطير اذا لم

ينهوا عما نهوا عنه فقابلوه بالسخر والهزء ولم يكتفوا بذلك
 بل رموه في سجن عميق ، فسلط الله عليهم بختنصر ملك
 بابل حيث زحف عليهم فدخل فلسطين وهدم بيت المقدس
 واحاط القوم قتلاً وذبحاً وأسراً وسبياً ثم فرقهم في الارض
 بدداً ، ثم خلف بختنصر بعد وفاته ملك خافض الجناح ورأى
 القوم من بني اسرائيل يتقلبون في اصفاة الذل وينالون اوان
 العذاب فرق لحالمهم وفك اسرهم وخصصهم للعودة الى بلادهم
 فرجعوا الى بلادهم ورد الله الكرة عليهم وامدهم بالاموال
 والبنين — وكان من حقهم ان يعتبروا بما كان وان يقابلوا
 النعمة بالشكران ، ولكن اى للنفوس اتى طبعتم على الشر
 ان تستروح الخير وتميل الى الصلاح ، وانى لسلائل القوم
 الذين تماثلوا على يوسف ، وآذوا موسى من بعده ان تأنس
 نفوسهم الى الاطمئنان ، او تذسى العدوان ، فانهم ما عتموا
 ان رجعوا ادراجهم الى الشر واخذوا يخبطون في حبال الظلم
 والبغي ، حتى اذا ما قام فيهم زكريا ويحيى نبين رحيمين
 ورسولين كريمين ، سفكوا دمهما ، كأن نفوسهم عطشى الى

الدماء ، وكان وتراً بينهم وبين الانبياء ، وعادوا الى الشر والعدوان وعاد الله بهم الى المسكر والانتقام ، وسلط عليهم (جودرز) كما سلط على من قبلهم بختنصر ، واعاد الكرة عليهم من ذهاب ملكهم وتخریب معا بدهم ، وهكذا مزقوا كل ممزق ، وتفرقوا تحت كل كوكب ، وضرب الله عليهم ابد الدهر الذلة والمسكنة ، وباؤا بغضب من الله « ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . وكقصة يونس عليه السلام مع اهل نينوى والمسيح عليه السلام وبنى اسرائيل وذوي القرنين واصحاب الكهف واصحاب الاخدود واصحاب الفيل الى غير ذلك مما يطول شرحه ويخرجنا عن الاقتصار في الاستقصاء .

كما اخبر عن المغيبات في عصر تنزيهه وفي المستقبل ، كقوله تعالى (غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » وقد وقع ما اخبر به القرآن الكريم من انتصار الروم على الفرس . وكقوله تعالى

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون » وقد فتح المسلمون مكة ودخلوها آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين . وكقوله تعالى « وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم » وقد حقق الله ذلك في القرون الاولى من صدر الاسلام ، وسيتم الله وعده للمسلمين في الاعوام المقبلة فيسودون العالم كما سادوه من قبل ، وكقوله تعالى في تعذيب اليهود وبقائهم تحت حكم غيرهم « واذ تأذن ربك لبيعن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » وها نحن نقرأ عما يجري لليهود في جميع اقطار العالم من ظلم واضطهاد وسيبقون هكذا الى يوم القيامة ، ولا يعتقد احد ان تقوم لهم قائمة الى يوم القيامة وما قضية الوطن القومي في فلسطين الا بركاناً يريد الله ايقاعهم فيه تهلك البقية الباقية منهم . وكقوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » فقد وعد الله تعالى بحفظ القرآن من النسيان والتفسير والتبديل وقد مضى على نزوله اربعة عشر قرناً وهو

هو كما نزل بخلاف بقية الكتب الاخرى التي اعترافها التفسير
والتبديل . وكقوله تعالى « قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذاباً من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعاً ويذيق
بعضكم بأس بعض » وقد قال ابن مسعود انها نبأ غيبي عمين
يأتي بعد ، وظهر مصداقها في الحرب العظمى والحروب التي
تجري الآن الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت في
هذا الباب والتي لا يمكن استقصاؤها في هذه المجالة .



أثر القرآن

في تحرير الفكر الانساني

قال الاستاذ محمد فريد وجدي :

أول ما وجد الانسان على الارض كان جاهلا كل الجاهل وكان مع جهله هذا ليس بمجرد من عاطفة دينية كما يدل عليه كل ما وجد من آثار الأمم السابقة على التاريخ فلم يشاهد جماعة من جماعاته محرومة من دين ساذج يناسب الحالة العقلية التي كانوا عليها. ولا تزال توجد في الارض قبائل متوغلة في التوحش تعطينا مثلا محسوساً على ما كان عليه الانسان في اول وجوده ومما هو محقق أن الخالق سبحانه وتعالى لم يحرم الانسان وهو في ذلك الدرك الاسفل من وجوده من رسل يهدونه الى الحق بالقدر الذي يطيقه تفكيره . ولما كان يلبث أن ينقاد لاهوائه فيؤله قوى الطبيعة ، أو يتخيل وراء ظواهرها روحاً او ارواحاً تمنحه الخير متى رضيت عنه ، وتقذفه بالشر متى سخطت عليه ، فكان يستجاب رضاءها عليه بما تزينه له عقليته

الناقصة ولو بتضحية فلذة كبده لاسترضائها . ولا شك انه كان يصدر في كل ذلك عن رجال نحلوا انفسهم صفة الوساطة بينه وبين الآلهة فكان يدين بما يوسوسون له به غير طالب على ما يقولون دليلاً ، لا لأنه كان يقدسهم فحسب ، ولكن لانه لم يكن يميز بين ما هو حق وما هو باطل من العقائد ، فكل شيء كان عنده صحيحاً مادام يصدر عن المهيمنين على ديانتته .

فاما حصل للانسان بعض العلم بالوجود الذي يعيش فيه ، وأخذت قواه العقلية تشعره شعوراً ساذجاً بان من الامور ما هو حق ومنها ما هو باطل ، ازداد تعويلاً على قاداته ، وتمسكاً بما يفضون به اليه ، وتسليماً منه بان الحق لا يعدو ما يؤاتونه اياه على اية حال .

انتقل الانسان درجة بل درجات في باحات العلم ، وقويت فيه غرائزه الادبية ، واستعدت للقيام بمحبتها من حياته العقلية فلم يؤثر هذا في خضوعه لأوليائه ، لأنهم بما انقطعوا لمهمتهم الروحية كانوا يسبقونه الى التطور فيوفونه حاجته من الغذاء

العقلي فكان يضطر للانتقياد لهم ، اذ يصادف لديهم كلما حفزته الحاجة الى المزيد منه فيظل اسيراً في قبضتهم .

تتابعت القرون والاجيال ، والناس جميعاً على هذه الحال ، حتى ولدت الفلسفة اليونانية ونبغ بين احضانها رجال وقر في أنفسهم ان من حق عقولهم عليهم ان يناقشوا رجال الدين فيما يدلون به الى الناس من عقائد ، فكان جزاؤهم القتل ، وأكبر من ذهب منهم ضحية لهذه التهمة الفيلسوف سقراط عمدة الفلسفة اليونانية .

ولكن ما لبث هذا الحجر على الفكر أن خفت وطأته ، فتمكن فلاسفة كثيرون من الافضاء بمذاهبهم الى الناس ، وفي بعضها ما يخالف عقائد عامتهم ، بل منها ما ينفي الى المادية الباحتة .

ولكن هذا العهد لم يدم طويلاً ، فانه لما عمت الديانة المسيحية أوروبا أصبح لحفظتها من السلطان ونفاذ الكلمة ما ليس للملوك المتوجين ، فوضعوا حدوداً للنظر لا يسمح لاحد بتعديها ، فوقفت حركة الفكر أكثر من الف سنة لم ينبغ في

أبناؤها على ما يقول المؤرخون عالم واحد في أى فرع من فروع العلم ، وبقيت كتب الاوائل مكدسة في المكتبات ترعى فيها الحشرات .

فكان العالم لا يخلو في اثناء تلك القرون الراكدة من نبوغ عقول نيرة تبحث في بعض الشؤون الكونية ، وتأتي بما يعده القاعون بالامور الدينية زيناً ، فكان هؤلاء المفكرون يحاسبون على ما أتوا به حساباً عسيراً ، فيستتابون ويعزرون إن كانت جريمتهم هينة ، فان عادوا لمثل ما أخذ عليهم فجزاؤهم كان القتل على أبشع حالة .

هذه الشدة المتناهية في القسوة لم تمنع العقول القوية من الظهور آونة فآونة ، فكان حفظة العقائد يلتقطون أصحابها واحداً واحداً ويخمدون انفسهم ، حتى لا تسري عدواهم لسواهم . ظلت الحال جارية على هذا النحو حتى بلغ عدد ضحايا الفكر الحراً أكثر من ثلاثمائة ألف ، أحرقوا بالنار ، أو ألقوا في البحار ، أو ماتوا وخزاً بالسفايفد المحماة الخ ومن عجب انه كلما ازداد عدد هذه الضحايا أكثر المترسمون

لخطواتهم ، وكما امعن رجال الدين في عنادهم ، استتبسل رجال
الفكر في جهادهم ، وتيقظ الناس من سبائهم ، وبعد ان كان
النزاع محصوراً بين رجال الدين ورجال العلم ، تعداهم الى رجال
الدين انفسهم ، وما هي إلا فترة حتى انصدعت وحدتهم ،
فاعلمن جمهور كبير منهم عزلتهم ، مؤسسين مذهباً جديداً
للمسيحية باسم البرتستانية ، فيها تسامح كبير إزاء رجال العلم ،
ومجال فسيح للفكر الحر والرأي المستقل ، وكان ذلك في
القرن السادس عشر ، اي بعد ظهور الاسلام بنحو الف سنة

الناظر في هذه السلسلة الطويلة من التنازع يظنها تطورات
ادبية محلية ، والحقيقة انها تتصل بالنهضة التي احدثها القرآن
في الشرق اتصالاً وثيقاً ، فان المساميين اتصلوا باوروبا من جهة
غربها منذ اواخر القرن الثامن الميلادي بفتحهم للاندلس ،
فاسسوا فيها دوراً للعلم ، وجروا فيه من حرية البحث
واستقلال الرأي على ما يقضي به الدستور القرآني ، فتأدوا
الى مدى بعيد من المعارف والفنون ، وصارت جامعات قرطبة
واشبيلية مثابة لطلاب العلم الغربيين فنهلوا من معينها الصافي مالا

يصلون الى مثاه في بلادهم ، ومرنوا على الاسابوب الذي كان
يجري عليه علماء المساهين من الحرية والاستقلال ، فتشبع
به نفوسهم ، وارتاحت اليه عقولهم ، فلما عادوا الى بلادهم
اخذوا يبشون في مواطنهم هذه الروح الجديدة ، فسرت في
اذ كياثهم سريان النور في الظلام وفتحت امامهم آفاقاً من
النظر ، ووقفهم على مواطن الفساد من نظمهم التعليمية ،
وسلطاتهم الاستبدادية . ومتى اشعرت النفوس بنقصها
اندفعت مضطرة بغرائزها لتكمله فانتدب افراد منها للتفكير
والنظر ، غير معتدين بالحدود التي امرت السلطة الدينية بعدم
تعديها ، فحدث من جراء ذلك كل ما ذكرناه من ذلك
التاريخ هنا

اما دخول العلم الاسلامي الى اوربا من طريق الاندلس
وطريق ايطاليا فأمر قد اعترف به مؤرخوهم ، واما استمدادها
روح نهضتها من النهضة الاسلامية فحدث لا يمكن المراء فيه
لاجماع مؤرخيها ان علوم المساهين وآدابهم هي التي ايقظت
اهلها من سباتهم ، ودفعتهم لبلوغ هذا الشأن من المدنية التي

هم عليها اليوم . ولست أحب أن أطيل الكلام بايراد الشواهد من كتب مؤرخيهم ، فانه اصبح معلوماً من الناس أجمعين . أما الاسلوب الذي تمكن به القرآن من كسر القيود الفولاذية التي كان يرسف فيها الفكر الانساني في مدى سنين معدودة ، بعد أن لبث عليها قروناً كثيرة ، فان في بيانه عبرة للسائلين ، وآية للناس أجمعين .

انزل الله القرآن والناس على ما تعلم من عبادة الالهواء ، والجمود على تقليد الآباء ، والطاعة العمياء للزعماء ، فلو كان جرى على الاسلوب البشري في بعث هذه العقليات الخاملة ، وتذبيبه هذه النفوس الهامدة ، لاستدعى ذلك قروناً واجيالاً ولكنه أتى في هذا الموطن بأية سيرفعا الناس الى أعلى من مستوى إحياء الموتى ، حين يعرفون أن نقل النفوس عما ورثته طفرة ، دونه نقل الجبال الشم من أماكنها .

تصدى الاسلام لتحرير العقلية الانسانية من طريق غير مباشر ، فجاءها من الناحية التي يشتد شعورها بها ، وهي ماستؤول اليه بعد الموت ، فأفاض في ذكر العذاب الذي ستلاقيه

النفوس الكافرة الجاحدة إفاضة لم تؤثر عن سواه ، وبالغ في تهويله على ضروب تنخلع لها القلوب وترتعد منها الفرائص ، مؤكداً أن الانسان وهو في تلك الحالة لا تجديده شفاعة شفيع ولو كان ملكاً مقرباً ، ولا قرابة قريب ولو كان رسولا مكرماً ، بل لا يجد من يتطوع لإنجاده من أب أو أم أو صديق ، لاشتغال كل امرئ بنفسه : « يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » « يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميم حميماً ، يبصرونهم ، يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الارض جميعاً ثم ينجيهم » « ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » « إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب » « وقالوا (أي أصحاب النار) ربنا إنا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا » « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو

كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » « تلك امة قد
خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا
يعملون » الخ الخ .

الناظر في هذه الآيات ، وفي الكتاب عشرات من أمثالها
يعجب من كثرتها ، واكنه لو أدرك أن هذا كله تمهيد لاعظم
اصلاح تم حدوثه في الارض ، وكان فاتحة لكل الاصلاحات
التي تلتها من بعد ، ذلك الاصلاح الذي رمى لان يرفع عن
النفوس البشرية نير العبودية للاوهام والتقاليد التي أمسكتها
في الظلام أجيالا طويلة ، تبين له وجه الحكمة من الاكثار
من هذه الزواجر .

ألا ترى أن النفوس متى تحققت أنه لا ينجيها من عذاب
الآخرة شيء غير عملها الذاتي ، انسأقت للنظر في وجه خلاصها
وما دام لن ينفعها شفاعتة شفيع ، ولا قرابة قريب ، ولا
اتباعها لمن تتخيل فيهم الهداية ، وتتوهم منهم الوساطة ،
كرهت الجمود على الموروثات ، ومقتت التقليد للآباء ،
وأيقظت في نفسها خاصة النقد والتمحيص في كل ما يعرض لها

من العلم ، فلم تعد اسيرة أحد فيما تعتقده وما تأخذ به ؟ وهذا هو معنى حرية الفكر واستقلال الرأي الذي سعى لإقامة دولتيهما المباكرة أجيالاً متطاولة ، وبذلوا في تشييدها دماءهم رخيصة ، وأقامها الاسلام في سنين معدودة ؟

وقد رأيت ان الاسلام قد جاء بهذا الاصلاح للآخذين به طفرة ، مؤسساً اياه على ارسخ غرائز النفس ، وأعمق نحايزها فنشأت أمة تنظر وتفكر ، وتدعو كل فرد منها ليفكر لنفسه ، ويعمل لها ، وقد خلد رسول الله ﷺ هذا الاصل بكلمة من صميم العلم الالهي ، وهي قوله لا بنته : « اعلمي يا فاطمة فاني لا أغني عنك من الله شيئاً » .

وقد نشأ في هذه الامة عدد لا يحصى من العلماء والحكام قلم يقل واحد منهم : خذوا بما أقول لا تنظروا فيه ، بل قالوا كلهم كما قال مالك : « ما من احد إلا وهو مأخوذ منه ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة » يعني النبي ﷺ .

محتويات الكتاب

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
المقدمة بقلم الاستاذ كمال ابراهيم	٣ —
مقدمة الكتاب	٩ —
وصف القرآن الكريم	١١ —
الوحي	١٧ —
الملائكة	٣٨ —
نزول القرآن	٤٧ —
عهد نزول القرآن	٥٢ —
الفرق بين المسكي والمدني	٥٩ —
جمع القرآن	٦٩ —
خط المصاحف	٨٣ —
وضع الاعراب والاعجام	٩٢ —
التجويد	٩٥ —
محاسن التلاوة وعيوبها	٩٦ —

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
مخارج الحروف	— ١٠٠
صفات الحروف	— ١٠٣
القاب الحروف	— ١١١
القراءات	— ١١٢
اختلاف القراءات	— ١١٦
القراء	— ١٢٤
التطريب في التلاوة واسلوب القرآن الموافق لذلك	— ١٣٢
آداب التلاوة والاستماع	— ١٤٢
النسخ	— ١٤٦
المحكم والمتشابه	— ١٥٧
سبب ورود المتشابه في القرآن	— ١٦٠
مراتب التشابه	— ١٦٣
ترجمة القرآن	— ١٦٧
حكم القراءة في الصلاة بغير العربية	— ١٧٧
القصص في القرآن	— ١٨٤

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
الامثال في القرآن	١٩١ —
فوائح السور	٢٠٤ —
القسم في القرآن	٢٢٣ —
تناسب الآيات والسور	٢٣٨ —
اسلوب القرآن وفصاحته ونظمه وتركيبه	٢٥٢ —
طرق الاعمجاز في القرآن	٢٦٠ —
اخباره عن الماضين والمغيبات	٢٧٨ —
اثر القرآن في تحرير الفكر الانساني	٢٨٥ —
محتويات الكتاب	٢٩٥ —

Egyptian Library Press 1041-1932-1000 copies.
